

أندري كونت سبونفيل

# ليقر من هو أفضل!

ترجمة: الجلال عشي

عنوان الكتاب: لِيَفُزْ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ!

المترجم: الجلاي عشي

المؤلف: أندري كونت سبونفيل André Comte-Sponville

العنوان الأصلي: « Que le meilleur gagne ! »

لوحه الغلاف: André L'hôte (1917) – Rugby

الإيداع القانوني: 2023MO0956

الردمك: 978-9954-721-47-6

مصابع الرباط نت



Av. Hassan II Cité Al Manar n° 6/3 - Rabat  
05 37 20 46 32 - 06 61 20 37 76  
imprimerierabatnet@gmail.com  
www.imprimerierabat.com

نشر هذا الكتاب بدعم من وزارة الشباب والثقافة والتواصل

لِيَفْزُ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ!

لِيَفْزُ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ!

الإنسانُ اللَّاعِبُ homo ludens

الرَّهَانُ عَلَى الْجَسَدِ

الكبرى

صارت

مجتم

يوم.

والخير

"الإله

والنار

والتع

بين الما

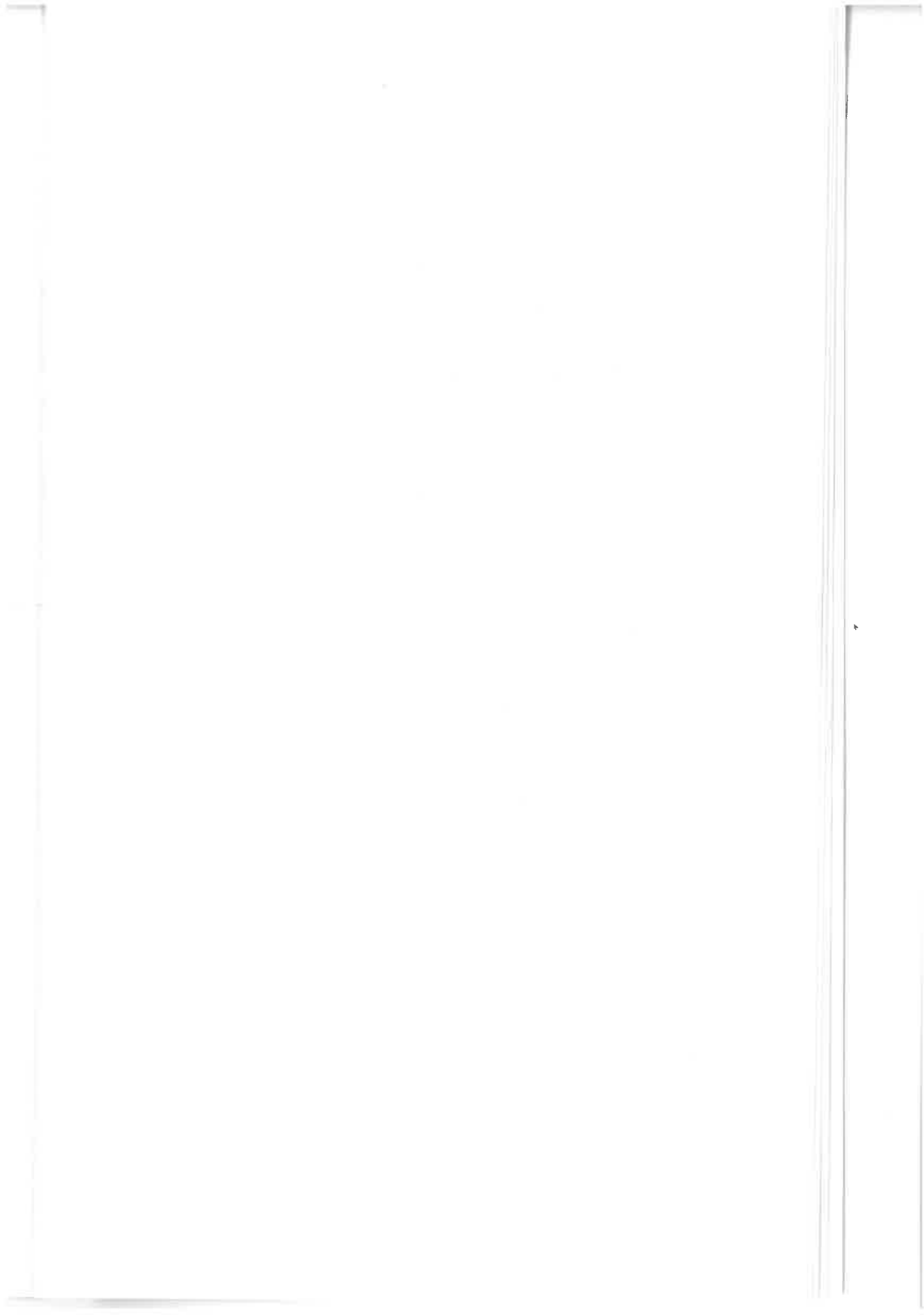
الممار

## تَوْضِيح

بالرغم من أن الرياضة صارت في القرن العشرين إحدى ظواهره الكبرى، فقد ظلت مدةً طويلة، دون أن تبالي بها أوساطُ المثقفين. لكنّها صارت اليوم تسترعى كلّ انتباههم، لأنها أصبحت تلقي الضوء على مجتمعنا، وعلى المخاطرات التي يخوضها جسدُ بشريّ تتطور مهاراته كلّ يوم.

لقد أُريدَ لهذه الجوارات، التي أُنجِزَتْ بالمعهد الوطني للرياضة والخبرة والأداء (INSEP)، أن تُسائل الرياضيّ، هذا السليل المعاصر لجِنس "الإنسان اللّاعِب" (homo ludens)، بالاستعانة بالسوسولوجيا والفلسفة والتاريخ والسياسة والأنثروبولوجيا والعلوم والتقنيات.

تدعونا سلسلة "الإنسان اللّاعِب"، من حيثُ هي مساحةٌ للفكر والتعبير الحرّ، إلى إعمال العقل والتشعُّع بروح النقد، وإلى رفع الحواجز بين المجالات المعرفية. كما تدعونا إلى فهم مختلف الحتميّات التي تُؤسِّسُ الممارسة الرياضية.



## مُقَدِّمَةٌ

دَعُونَا أَوَّلًا نَبْدَأُ بِالتَّعْرِيفِ، فَمَا الرِّيَاضَةُ؟ هِيَ نَشَاطٌ، أَيْ فَعْلٌ يَدُومُ  
أَوْ يَتَكَرَّرُ. وَلَكِنْ أَيْ نَوْعٌ هُوَ هَذَا النِّشَاطُ؟ إِنَّهُ نَشَاطٌ بَدَنِيٌّ، لَيْسَ مِنْ حَيْثُ  
كُونُهُ خِلْوًا مِنْ أَيْ تَأْيِيرٍ لِلْعَقْلِ فِيهِ (وَأَتَى لَهُ ذَلِكَ، إِلَّا إِذَا تَوَقَّفَ أَنْ يَكُونَ  
نَشَاطًا، أَوْ الأُخْرَى أَنْ يَكُونَ نَشَاطًا بَشَرِيًّا؟)، بَلْ مِنْ حَيْثُ كُونُهُ نَشَاطًا  
تَوَدِّي فِيهِ قَدْرَاتُ الْجَسَدِ - قُوَّتُهُ وَسُرْعَتُهُ وَمَهَارَتُهُ وَجَلْدُهُ ...- الأَدْوَارَ الأُولَى.

إِنِّي أُدْرِكُ تَمَامَ الإِدْرَاكِ، أَنَّ طَائِفَةً مِنَ النَّاسِ كَانَتْ تَوَدُّ، فِي مَعْرَضِ  
حَدِيثِهَا عَنِ رِيَاضَاتِ كَالشُّطْرُنِجِ، أَوْ الكَلِمَاتِ المِتْقَاطِعَةِ، أَوْ السُّودُوكُو، أَنْ  
تُطَلِّقَ عِلْمِيهَا اسْمَ "رِيَاضَاتِ فِكْرِيَّةٍ" أَوْ "ذَهْنِيَّةٍ"، بَيِّنُ أَنْ اسْتِعْمَالَ مِثْلِ هَذِهِ  
الأَسْمَاءِ لَمْ يَعْرِفِ الاسْتِقْرَارَ، وَلَا قِيَّضَ لَهُ أَيْ ائْتِشَارٍ. وَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ  
مُقَاوَمَةِ اللِّسَانِ، فَالرِّيَاضَةُ أُعْلِقُ بِالجَسَدِ مِنْهَا بِالذَّهْنِ. وَهَذَا قَدْ يُقَسِّرُ  
مِقْدَارَ النِّجَاحِ الَّذِي بَلَغَتْهُ اليَوْمَ، أَكْثَرَ مِنْ أَيْ وَقْتِ مَضَى. فِي مَجْتَمَعَاتِنَا  
بِطَابِعِهَا الخَدِمَاتِيَّ وَالخَضْرِيَّ وَالرَّقْفِيَّ، غَالِبًا مَا يَزِيدُ اسْتِغْثَالَ الذَّهْنِ عَلَى  
اسْتِغْثَالِ العَضَلَاتِ. لِنِذَلِكَ فَالذَّهْنُ أَكْثَرُ عُرْضَةً لِلتَّعَبِ وَشِدَّةِ الإِعْيَاءِ، وَمِنْ  
ثُمَّ فَهِيَ لِلِاسْتِرَاحَةِ أَحْوَجُ... وَلَسَدِ تِلْكَ الحَاجَةِ، فَإِنَّ لَهُ فِي الرِّيَاضَةِ أَنْسَبَ  
الوَسَائِلِ وَأَسْلَمَهَا، لِأَنَّهَا عِنْدَ بِنْدْلِ الجَهْدِ نَفْسَهُ، تُسْعِفُ فِي اسْتِعَادَةِ ضَرْبٍ  
مِنَ الانْسِجَامِ المِهْيَاجِ. (لِأَنَّ "النَّفْسَ" وَالجَسَدَ يَعْزِيَانِ الشَّيْءَ ذَاتَهُ "بِحَسَبِ  
سَبِينُوزَا)، فَإِنَّ النَّفْسَ تَسْتَمْتَعُ بِالجَسَدِ أَسَدَّ الاسْتِمْتَاعِ، كَلَّمَا كَانَتْ أَقَلَّ  
انْشِغَالًا بِالتَّفَكِيرِ مِنْهَا بِالتَّصَرُّفِ العَمَلِيِّ. هَذَا أَقْرَبُ إِلَى أَنْ يَكُونَ دَرَسًا فِي

الحِكْمَة، منه إلى أن يكون درساً في الوقاية الصحية! فلقد جُبلنا منذ العصر الحَجْرِيّ القديم على الحركة؛ من أجل التنقل والقنص والجَنِي والقتال، لا من أجل أن نُمضي جُلَّ أوقاتنا على مكتب أو أمام شاشة، على نحو ما صارت عليه عاداتنا! فكيف نَسْتغْرِبُ ما أُلنا إليه من البِدانة والرِّخاوة وجِدَّة التوتر وشِدَّة القلق وكثرة الحَسرة؟ ولقد قيل قديماً: "العقلُ السَّلِيمُ في الجسمِ السَّلِيمِ" (Mens sana in corpore sano). لذلك ازدادت جَدوى الرياضة في هذا العصر، لأنَّ حياة الناس صارت أكثر استقراراً، أو لأنَّهم بدنياً صاروا أَقَلَّ نشاطاً. فأنَّ تُزجِّي كلَّ أوقاتك جالساً على كرسيٍّ، أو مُتَكِّئاً على أريكةٍ، ليس من السلامة في شيء. لذلك بات أطباؤنا يحثوننا على ممارسة الرياضة، أكثر مما كان يفعل أسلافهم زَمَن بُقراط.

الرياضة إذن نشاطٌ بدنيٌّ، ولكن أي نوع هو هذا النشاط؟ فليس كلُّ نشاطٍ بدنيٍّ رياضةً. مِثَالُ ذلك أنَّ أعمالاً يديويةً كاستعمال الرُّفْش أو المِغُول، أو بناء جدار، أو تثبيت لَوَلْب، أو تقطيع أخشابٍ، أو التنظيفِ بمكنسةٍ عاديةٍ أو كهربائيةٍ، هي أعمالٌ تقتضي من غير شك، بذلَّ جهودٍ بدنيَّةٍ بل مُضنيةٍ أحياناً، ولكنها لا تَعُدو ذلك إلى أن تُنَسَبَ إلى الرياضة، لأنها أعمالٌ كَدِّ فَحَسَبُ. ولمَ ذاك؟ فإلَّا أنَّ هذه الأنشطة لا يقوم معناها في ذاتها، أو فيما تُدخِلُه إلى النفس من الرِّضا، أو ما قد تخلقه من مُتعةٍ، أو تُحدثه من مُناقسةٍ، بل يقوم على ما تتركه من أثرٍ ظاهرٍ: أخدود، دار، بضاعة، مدفأة، بيت أنيق... أمَّا الرياضةُ فليس لها من ذلك شيءٌ. وقد يُتَوَقَّع أن تُحدث الرياضةُ أثراً (مثل الجري لاكتساب الرِّشاقة، أو من أجل الحصول على ميدالية)، إلَّا أن ذلك لا يحدد جَوْهرها (فَمَنْ كان يجري لاكتساب الرِّشاقة، لا يقلُّ مقداراً ممارسته للرياضة عنه إذا أطال جَريته،



كما لا يزيد ذلك المقدارُ مقارنةً بمنَّ كان يجري لكسبِ متعةٍ، أو بدافعِ نَزْعَةٍ للمنافسة). الرياضةُ بالمعنى الذي كان سيُفْرده لها أرسطوطاليس، هي من جنسِ (البراكسيس، praxis) لا من جنسِ (البويزيس، poiësis)، أي أنها أحمقٌ أن تكونَ مُمارَسَةً عمليَّةً، مِن أن تكونَ خَلْقاً أو إنتاجاً. فأن تُمارِسَ الرياضةَ - مبتعداً مُؤَقَّتاً عن كلِّ مباراةٍ - يعني أن تقومَ بنشاطٍ، ليس له أيُّ غايةٍ خارجِ النشاطِ ذاته أو خارجِ فاعله. إذن فهو لا يُقصدُ منه الحصولُ على أيِّ مُنتوجٍ مادِّيٍّ، أي أن تقومَ بنشاطٍ لا يرمي إلاَّ لبلوغِ نجاحه الخاصِّ (أو ما كان سيعبر عنه أرسطوطاليس بالأوبراكسيا، eupraxia)، وإلى ما يمكن أن يحققه من متعة، ولاسيما إلى صَوْنِ قُدْرَاتِ القائمِ بهذا النشاطِ أو إنمائها أو إبرازها.

وأحسبُ هذه السمةَ الأخيرةَ من الأهمية بمكان. فكلُّ نشاطٍ لا يُعنى إلاَّ بمَجْرَاهِ السليمِ أو بما يحققه من متعة، قد لا يعدو أن يكونَ لُعبَةً أو رُقْصَةً؛ وما كلُّ لُعبَةٍ رياضيةٍ ولا كلُّ رُقْصَةٍ رياضيةٍ، وليس أيضاً كلُّ رياضةٍ لُعبَةً أو متعةً.

مَهْلًا! هل الرُقْصُ رياضةٌ؟ قد يتحولُ الرقصُ إلى رياضةٍ، على قدرِ ما يُبَدَلُ فيه من جَهْدٍ، وعلى شرطِ أن يُتَوَسَّلَ به لبلوغِ أغراضٍ غَيْرِ مُجَرَّدِ المتعةِ أو الإغراءِ، كأنَّ يحصلَ منه على الأقلِ تَقَدُّمٌ في اكتسابِ مهارةِ الرقصِ (حين يكون الرقصُ نفسه تَمَرُّناً على الرقصِ، أي من أجل أن يَتَحَسَّنَ في المستقبلِ)، أو يَحْصُلَ منه بلوغٌ درجةٍ في الأداء (تجعل صاحِبها أهلاً ليتفوقَ على الآخرين)، بل حتى أن يَحْصُلَ منه تحقيقُ انتصارٍ أو الفوزِ بَلَقِبِ (عند المُشارَكَةِ في مُبارَاةٍ). وبعبارةٍ أُوجِزُ، يصير الرقصُ رياضةً، كُلِّمًا تَجَاوَزَتْ غايتهُ المتعةَ التي تُتَحَصَّلُ منه بالفعل، إلى الحفاظِ

على القوة الكامنة فيه أو الزيادة فيها أو الاحتفاء بها. هذا ما يجعل الرياضة أَوْضَحَ لَدَيْ: إنها قُوَّةٌ تتحقق بواسطة فعلٍ (أي من خلال نشاطٍ) يَفْصِدُ إلى الحفاظِ أو الزيادةِ أو إبرازِ قُوَّةِ الفِعْلِ التي تستخدمها (أو القُوَّةُ بِالْقُوَّةِ [مُقَابِلِ القوة بالفعل] بِحَسَبِ ما قد يعبر عنه أتباعُ أرسطوطاليس).

لنترك جانباً هذا الرقص الذي ما كان رياضةً إلا استثناءً أو عَرَضاً. ولنَعْتَبِرِ الرياضاتِ التي أُقِرَّ بِشهرتها العالمِيَّةِ. فَإِنَّ كَثِيراً منها يُعَدُّ أَلْعَاباً مثل: كرة المضرب، كرة القدم، كرة اليد، كرة القاعدة، الكرة المستطيلة، كرة السلة، الكرة الطائرة، كرة الماء، الغولف، الكريكيت، البولو، هوكي الجليد أو هوكي الحقل... ولكنَّ منها ما ليس أَلْعَاباً: فالعَدُو، والسِّبَاحَة، والقَفْزُ الطَّوِيلُ أو العَالِي، والتَّرْجُحُ الطَّوِيلُ أو السَّرِيع، وسِبَاق الدَّرَاجَاتِ الهَوَائِيَّةِ على المِضْمار أو على الطَّرِيق، والتَّجْدِيفُ أو المُسَافِة، وَرَمِي القُرْصِ أو رَمِي الجُلَّةِ، والمَلَائِكَة أو الجُودُو، والجُمْبَازُ أو رَفْع الأثقال، لا نَشْكُ أَنَّهُا كَلَّهَا مِنَ الرِّيَاضَاتِ التي لَمْ يَسْبِقْ لَنَا أَنْ اعْتَبَرْنَاها مِنَ الأَلْعَابِ. ما الذي يُفَرِّقُ إِذَنْ بَيْنَ هَذَيْنِ الصَّنِيفَيْنِ مِنَ الرِّيَاضَاتِ، أَحَدُهُمَا مشهور بكونه مِنَ الأَلْعَابِ دُونَ الأُخَرَ؟

هل هذا الفرق مصدره ما يُسْتَعْمَلُ فِيها مِنَ كُوْنِيَّةٍ أَوْ كُرَّةٍ أَوْ قُرْصٍ؟ لا قَطْعاً. فليس ذلك راجعاً إلى أَنَّ قَدَرًا شَاءَ أَنْ تَسْتَلْزِمَ كُلُّ لُعبَةٍ رِياضِيَّةٍ اسْتِعْمَالَ وَسِيلَةٍ لُعبٍ وَحِيدَةٍ، يَحْسُنُ أَنْ تَكُونَ نَطَّاطَةً أَوْ زَلْقَةً، فَيَتَنَاوَهُها اللَاعِبُونَ أَوْ يَتَنَازَعُونَهَا أَوْ يَحَاوِلُونَ التَّحَكُّمَ فِيها (هذا ما يجعلهم في وضع مناسب للعب، وللمنافسة وانعدام اليقين)، و إِنَّمَا ذلك راجعٌ إلى أَنَّ الكُوْنِيَّةَ أَوْ الكُرَّةَ قَدْ تُسْتَعْمَلانِ أَيْضاً فِي رِياضَاتٍ لا تَنْتَعِي لِصِنْفِ الأَلْعَابِ

(مثلما هو شأن استعمال الكرة في الجُمباز الإيقاعي)، ومن ثمَّ لا يَسَعُ أن يُسْتَعْمَلَ معياراً لتمييز الرياضات المُصنَّفة ألعاباً عن غيرها من الرياضات.

يَسْتَدْعِي الأمر إذن غير هذا. فما هو؟ إنَّه مِغْيَارٌ مهمما يُكُنُّ مُهِمَّماً، يَبْدُو لي واضحاً، إذ هو يتجلى في: متعة يَتِمُّ تَحَقُّقُهَا فَوْراً أو على نَحْوِ أَكْد. وهو تَسْلِيَّةٌ واستِراحةٌ بها مَرَحٌ أو مَسْرَّةٌ. مِنْ كَلِّ هذا يَلْزُمُ في الرياضاتِ من صِنْفِ الألعابِ، أن يُشَارِكَ لاعِبَانِ على الأَقَلِّ في اللُغْبَةِ، بينما في الرياضاتِ من غير هذا الصِنْفِ يمكن الاكتفاء بأن يُوجَدَ رِياضِيٌّ بِمُفْرَدِهِ، حيث لا تظهر الحاجةُ إلى خَصْمٍ إلا في المباريات التي تُخاضُ فيها.

وَنُذَكِّرُ مثالَ رياضاتِ ألعابِ القُوَى؛ فأنا لست فيها بحاجةٍ لأحدٍ، من أجل العدو أو القفز أو رمي الرُّمَحِ. إذ ليس للأخر فيها سوى أن يكون لي خَصْماً، لا أن يكون لي شريكاً. فلذلك تُعَدُّ من الرياضاتِ لا من الألعابِ. وبخلاف ذلك فأنا في كرة المضرب أو كرة القدم أو الكرة الطائرة، أحوَجُ إلى شركاءٍ مِنِّي إلى خُصُومٍ (حين يُقْتَصَرُ مثلاً، بين الأصدقاء، على "تقاذف الكرة" [في ألعاب المضرب]، أو تمريرها، [قبل الشروع في اللعبة]). وما كان لرياضةٍ أن تكونَ من الألعابِ إلا إذا كان بها مَرَحٌ. وإتِّمَّ الصعوبة أن يجد المرءُ مرحاً، حين يَتَرَوَّضُ بمفرده (ومهما يكن من أمر، فمن الصعب أن يكون ذلك المرح في ناحية البدن). إنَّ الذين يَتَعاطَوْنَ لُغْبَةَ البيلبوكي bilboquet يُدركون هذا جيداً، لما يَلعبون فُرَادَى، مَتَلِّهِمُ في هذا مَثَلٌ فِثِيَّةٌ يُلاعِبون بِتِراعةٍ هَلْوانِيَّةِ الكرة بأقدامهم وهم وُحْدَانٌ، فَهَمُّ جَمِيعِهِمْ يَرَوْنُ فيما يقومون به، على نَحْوِ شَبِّهِ دائِمٍ، نَوْعاً من التدريب أكثر مما يرون فيه نوعاً من اللعب.

ليس الأمرُ بَعْدُ، بِذِي أَهْمِيَةٍ. إِذْ غَايَتِي أَنْ أُعْرِفَ مَا الرِّيَاضَةُ. وَمِنْ الموثوق به أن اللعب ليس كافياً لأن يكونَ حَدّاً للرياضة، فما كلُّ لعب ولو كانَ بَدَنِيّاً، يُحَسَّبُ من الرياضة (تَمَثَّلُوا بِلُغْبَةِ الكُللِ أو لُغْبَةِ الحَجَلَةِ [الشَّرْطَةَ]، أو بِلُغْبَةِ الغُمُيْضَةِ أو لُغْبَةِ المَطَارِدَةِ وَلَسِ الخَصْمِ [حاباً])، وما كلُّ رياضة تُحَسَّبُ من اللعب (تَمَثَّلُوا بِالْعَابِ القَوِي أو ركوب الدراجات الهوائية، بالسباحة أو الملاكمة). فما هو إذن [هذا المعيار]؟ هل هو الجَهد؟ لكن الجهد ليس مقصوراً على الرياضة وحدها وإن كانت لا تَسْتَعْنِي عنه. وكم من نشاطٍ بدني يقتضي بذلَ جهود، قد لا يعدو أن يكون نوعاً من الكَدِّ. فليس في وَسع هذا الجهدِ إذن أن يسعفنا في تعريف الرياضة.

ما كلُّ رياضة من اللعب، وما كلُّ جهدٍ رياضة. إننا بحاجةٌ لكي نَحِدِّدَ سِمَاتِ الرِّيَاضَةِ في المِجالِ الأعم للأنشطة البدنية، إلى إبرازِ مَبْتَهَرِها الخاصة. هل سنجدُ بُغْيَتَنَا من ذلك فيما يُنَجَزُ فيها من أفعالٍ؟ ليس ذلك مُرَجَّحاً؛ بما أن هذه الأفعالَ غايةٌ في التنوع. فأَيُّ صِلَةٍ بين حِصَّةٍ في كرة المضرب وبين السباحة بأسلوب الفراشة، أو بين التزلج السريع على المنحدرات وبين المبارزة بسيفِ الشَّيشِ؟ فما من رياضةٍ إلا وتتميز عن أخواتها، بمضمونها أو بالأفعال التي تترتب عنها أو تنطوي عليها. بيدَ أنَّ ما يُمَيِّزُ الرِّيَاضَةَ عن سواها مما لا يُنْسَبُ إلى الرياضة، ليس هو مضمونها بل غايتها، وليس يميزها عنها ما تنطوي عليه من أفعال (كالعدو أو السباحة أو القفز)، بل الأغراض التي ترمي إليها. والحالُ أننا بهذا نكون قد تقدمنا خطواتٍ. وكما سبق أن ذكرْتُ، فالرياضة أقربُ أن تكون ممارسةً عمليةً، من أن تكون إنتاجاً (تميزاً لها عن أغلب أنواع الكَدِّ والعمل)، بيدَ أنها ممارسةٌ لا تكتفي بالسَّعي إلى تحقيق نجاحها الخاص، أو

إلى حصول المتعة منها (تمييزاً لها عن اللعب أو الرقص). ماذا يعني القيام بالرياضة إذن؟ ذلك يعني إخراج قوةٍ إلى حيزِ فِعْلِ (نشاطٍ)، يرمي إلى إبراز هذه القوة على الفعل نفسها التي يستخدمها، أو إلى صَوْنِها أو إنماءها، سواء أكانت هذه القوة فعليةً (أثناء سباق أو مباراة)، أم كانت مُؤَجَّلَةً الحدوث (أثناء التدرّب). فأنت مثلاً، تستخدم قوتك على العدو (العدو بالفعل)، إلا أنك تستخدم هذه القوة لكي تحافظ عليها أو تنميها (بغية أن تكون قادراً على العدو مستقبلاً بالقدر نفسه أو أفضل)، أو لكي تُبرزها أو تقيسها (أيضاً في مواجهة آخرين، أثناء سباق).

لنلتزم الحيطّة هنا، فالأمر يتعلق بنشاط أشدّ خصوصيةً، لم يسبق لكثير من الناس أن مارسوه قط. كلّ الناس قاطبةً ينطلقون عدوّاً من حين لآخر، إلا إذا حالت بينهم وبين ذلك إعاقةٌ. بيدَ أنّ العدو ملاحقة طريفة، أو تبادياً لقواتِ القطار، أو فراراً من طرفٍ مُعتدٍ، ليس من الرياضة في شيء. فلا رياضة كائنةً في اعتقادي، إلا إذا كان ثمة نشاطٌ بدنيٌّ - سواء أكان لعباً أم لم يكن - غايته أن يصون أو يُنبّي أو يُقوّم القدرات البدنية للقائم بهذا النشاط (أي قوته على الفعل: على العدو، القفز، السباحة، المراوغة...)، بما يعني إذن القدراتِ نفسها المُستخدمة في هذا النشاط. هذا لا يمنع أن يكون هذا النشاط سبيلاً لتحقيق متعة (فمن الناس من يهوى العدو أو القفز، أو لعب كرة المضرب أو كرة القدم)، أو سبيلاً يُتوقّع منه إصابة أغراضٍ أخرى (ميدالية، جائزة، أجر، مجد). أمّا هذه المتعة و هذه الأغراض، فإنها تُحسبُ من الإضافات الخارجية للرياضة، أكثر مما تُحسبُ من جوهرها (فالذي يعدو أو يسبح دون تيّل متعة أو مكافأة، لا تكون ممارسته للرياضة أقلّ منه إذا كان يعدو أو يسبح من أجل الحفاظ على درجات أدائه الخاص، أو تنميتها أو قياسها).

هذه الأفكار، إذا اتصل بعضها ببعض، من شأنها أن تُرشدني إلى اقتراح التعريف التالي: الرياضة نشاطٌ بدنيٌّ يَقْصِدُ إلى صَوْنِ القدرات التي تجعله ممكنَ التحقق، أو إلى إنمائها أو إبرازها أو قياسها، دون أن يكون له أيُّ قَصْدٍ آخر سوى هذه الصِّيانة أو هذا الإنماء أو هذا الإبراز أو هذا القياس، مع إمكان أن تُضَافَ إليه أو تُتَخَصَّلَ منه المتعة أحياناً (ومن ذلك، عند الاقتضاء، متعة المنافسة، أو متعة الانتصار، أو متعة نيل مكافأة من المكافآت).

والنشاط الذي يَقْصِدُ إلى صَوْنِ القدرات التي تجعله ممكنَ التحقق، أو إلى إنمائها أو قياسها، هو ما يُسَمَّى تَمَرِيناً. فأن نزاولَ هذا التمرين، من أجل الحفاظ على صحتنا، أو من أجل اللعب، أو من أجل مُناظرة منافسين (كما في مناظرة الأعداء agôn عند الإغريق: فليست هي بحرب، أو بوليموس polémos، وإنما هي تبارٍ و سِبَاقٍ و منافسةٌ)، فَمِنَ المُؤَكَّدِ أنَّ ذلك له تأثير على سياق هذه المسألة. كالمتعة التي قد تُتَاحَ لنا منه و قد لا تُتَاحَ، ولكن من غير أن يكون له أيُّ تأثير على طبيعته الرياضية. هذا إذا كان الأمر يتعلق فعلاً بتمرين، طَبَقاً للمعنى الذي جئْتُ به قبل حين، وليس بنشاطٍ لا غاية له سوى بلوغ متعة عاجلة (كما هو الحال في لُغْبَةٍ لا صلة لها بالرياضة)، أو تحقيق نتيجة خارج ذات الفاعل لهذا النشاط (كما هو الحال عند تقطيع أخشاب من أجل التدفئة، أو عند الجري من أجل ركوب الحافلة). وهذا يُجِزُّ لي تعريفاً أَوْجَزَ: الرياضة تمرينٌ بدنيٌّ، له أهدافٌ تتعلق إمَّا بالصحة أو اللعب أو المُغالبة. إذ في هذا التعريف، يحتل التمرينُ مكانَ الصدارة. فأيُّ لُغْبَةٍ بدنية، مهما كانت أهدافها الخاصة (صحة أم لعباً أم منافسة)، لا تصير رياضةً إلا إذا كان اللعب فيها يُرادُّ له، و لو جزئياً، أن يكون وسيلةً لأن يتحسن اللعب

بواسطة مستقبلها (فذلك هو المبدأ الذي يقوم عليه كل تدريب)، أو يُرادُ له أن يكون وسيلة يُقاس بها، في مواجهة منافسين آخرين، ما يُمتلِك من قدرات خاصة على اللعب (فذلك هو المبدأ الذي يقوم عليه كل سباق و كل مباراة).

قد يُعْتَرَضُ على هذا، بالقول إن نشاطاً بدنياً يرمي إلى إنماء القدرات التي تجعله ممكن التحقق، يحتملُ أن يكون أيضاً من قبيل ما يَجْرِي في حصّة للترويض الطبيّ (عَقِبَ حادثةٍ مثلاً)، أو أن يكون تمريناً على التنفس (عقب الإصابة بالتهاب رئويّ مثلاً)، أو أن يكون مجردَ نزهة حفظاً للصحة (مثلما يُنصَحُ به لمرضى القلب)، كما تجوز فيه جميع الاحتمالات مما لم نَعْنِدْ قَطُّ عَزْوَهُ إلى الرياضة. فإذا لم يكن من المؤلف، أن تُعزَى مثلُ هذه الأنشطة إلى الرياضة، أفلائُها لا تتسع بالقدر الكافي لبذل جهود شاقة؟ تلك أولى الرُّدود التي قد تَرُدُّ على الخاطر، ولكن ذلك ليس بالرد الكافي. فَبَعْضُ من حصص الترويض الطبيّ يوجبُ بذل جهود شاقة، بل أحياناً مُؤلمة، ولكن ذلك لا يصنع منها تجربةً رياضية. فَلِمَ ذلك؟ لأنّ لا أحد يتصور أن يصنع منها مباراة عمومية، بما يترتب عن ذلك من إرساء قواعد ومعايير موضوعية. وحسب الرؤية من هذه الجهة، لا تكتسي الأهداف الثلاثة التي سبق لي أن ذكرتُ (الصحة، اللعب، المغالبة) الأهمية نفسها. وحتى إن كانت تكتسي الأهمية نفسها، بالنسبة إلى الأفراد الذين لهم أن يختاروا بين هذا الهدف أو ذاك، فإنها ليست كذلك بالنسبة إلى المجتمع. فكلُّ نشاطٍ بدنيّ مهما كان الهدف الفردي الذي يقصده (الصحة مثلاً، أو اللعب أو الفوز)، لا يَعْنِدُه المجتمعُ رياضةً، إلا إذا كان من المُستطاع ولو لمَلاماً، أن يصير موضوعاً لمباراة عموميّة. فقد لا نمارس

العدو إلا بغرض الحفاظ على الصحة، ولكن هذا العدو لا يُحَسَّب من الرياضة إلا إذا وُجِدَت سباقات للعدو. وقد لا نمارس السباحة أو التزلج إلا لغرض الاستمتاع، ولكنهما لا يصيران من الرياضة إلا إذا وُجِدَت مباريات في السباحة أو التزلج. هذا ما يمكن إيجازه في تعريف نهائي: الرياضة تمرين بدني، وإن يُكُنْ لغرضٍ صِرْفٍ يتعلق بالصحة أو اللعب، فلا بد أن يَسْمَحَ أولاً بإمكانية أن توجد به مُغَالِبَةٌ.

لا يُغزى تقطيع الخشب إلى الرياضة، كما أسلفْتُ. ولكن قد يصير إلى ذلك، إذا كان غرضُك منه مقصورياً على حفظ الصحة (أي الحفاظ على القوة الذاتية التي تستخدمها، لتقطيع الأخشاب)، أو كان غرضُك منه هو التَدْرِبُ (حتى يَهَيِّأَ لك متى أمكَنَ ذلك، أن يكون أداؤُك في قطع الأخشاب أفضلَ فأفضل)، أو بالأحرى لما يكون غرضُك منه أن تُقايِسَ أداؤك بأداء الآخرين (في مباراة)، أو تقايسه بأداؤك السابق (حين تريد مثلاً أن تحطم رقمك القياسي). في هذه الحالة، لا يتعلق تقطيع الخشب بمَهْمَةٍ أو كَدٍّ أو حِرْفَةٍ، بقدر ما يتعلق بتمرين بالمعنى التام الذي أسلفْتُ اقتراحه - أي " بنشاطٍ يَقْصِدُ إلى صَوْنِ القدرات التي تجعله ممكنَ التحقق، أو إلى إنمائِها أو قياسِها" -، فهو إذن مُتَعَلِّقٌ بالرياضة، حتى وإن كان المجتمع لا يُقَرُّ بكونه رياضةً، إلا إذا كان موضوعاً لمباريات عمومية، ولَوْ لِمَا مَأ. وهذه الرياضة موجودةٌ في الحقيقة: ويطلق عليها في أمريكا الشمالية اسم رياضة تقطيع الخشب timbersport (بل تُنظَّم لها بفرنسا بطولة، يمكن مشاهدة صوراً لوقائعها على شبكة الإنترنت)، حيث يتنافس الحَطَّابَةُ المحترفون منهم أو الهواة، خلال ستة أطوارٍ متوالية (ثلاثة منها بواسطة الفأس، والثلاثة الأخرى بالمنشار). ما الفرق إذن بين



رياضة تقطيع الخشب وعمل الحطاب؟ ليس الفرق بينهما هو النشاط نفسه (فهو في كل الأحوال لا يعدو أن يكون تقطيعاً للخشب)، بل الفرق في الغاية منهما: أما عمل الحطاب فله غاية اقتصادية، وأما رياضة تقطيع الخشب فلها غاية تتعلق بالمغالبة.

هل بالإمكان على هذا القياس، أن تصير لعبة الحجلة [الشَّرْطَة] رياضة؟ لن يكون ذلك مُحالاً، إذ ما كانت ممارستنا لها تكتسي شدة كافية للتأثير في قدراتنا على ممارستها. قد يعترض معترض بأن هذا يناسب بدون شك، هذا الفرد أو ذلك، دون أن يحسبها المجتمع مع ذلك، من الرياضة. وعلة ذلك أن اللعبة تفتقر إلى أن يهيأ لها مباراةً عمومية، وفقاً لقواعد ثابتة. تصوّر لو أنّ اللجنة الأولمبية الدولية تجعل من لعبة الحجلة سباقاً أولمبياً، لصارت عندئذ هذه اللعبة الصّيبانية، المتوارثة من قديم عن الأسلاف، من الرياضات دون أي تأخير، لا بسبب هذا القرار الرسمي وحده، أو بسبب الجهود التي تستلزم هذه اللعبة بذلها فحسب، ولكن بسبب ما ليس لها إليه بُدٌّ من إعداد تداريب وتنظيم مباريات.

ليس كل رياضة لعباً، و ليس كل لعب رياضة. و لكن كل رياضة، أكانَ فيها لعبٌ أم لم يكن، تُعرَف بهذا البُعد المتعلِّق بكونها تمريناً بدنياً، يسمح أولاً بإمكانية أن توجد به مُغالبة، أي بما يجعله ينحو إلى تعهد القدرات المستخدمة فيه - أكانت مع ذلك بدنية أم ذهنية - أو إنمائها أو قياسها (سواء بالنسبة إلى الغير، أم بالنسبة إلى الذات). لذلك فالرياضة سلوكٌ باذخٌ بمعنى أدق: فعلى المرء أن يكونَ في غنى عن مزاوله الأشغال الضرورية لبقائه حياً ( توفير الغذاء، الأمن...)، حتّى يتيسَّر له وقتٌ

لِلتَّمَرُّنِ، أَيِ حَتَّى يَتَسَيَّرَ لَهُ وَقْتُ لَا تَبْدُو لَهُ فِيهِ قَدْرَاتُهُ الْخَاصَّةُ مَجْرَدَ وَسَائِلٍ (وَهِيَ مِنْ طَبْعِهَا أَنْ تَكُونَ كَذَلِكَ)، بَلْ تَبْدُو غَايَاتٍ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى نَحْوِ عَائِرٍ. فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ مَسْحُوقًا بِالْعَمَلِ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَفْرَغَ لَهُ وَقْتُ لِمَارَسَةِ الرِّيَاضَةِ. فَلِذَلِكَ كَانَ لِلرِّيَاضَةِ صِلَةٌ بِوَقْتِ الْفَرَاغِ، مِنْ عَهْدِ الْيُونَانِ الْقَدِيمَةِ حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا.

ذَلِكَ مَا يُؤَكِّدُهُ عِلْمُ الْاِشْتِقَاقِ. فَكَلِمَةُ "رِيَاضَةٌ" «sport» الَّتِي عَبَّرَتْ إِلَيْنَا مِنْ طَرِيقِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ، قَدْ جَاءَتْ مِنْ أَصْلِهَا الْفَرَنْسِيَّةِ الْقَدِيمَةِ «desport»، حَيْثُ كَانَتْ تَعْنِي الْهَوَايَةَ "passe-temps" أَوْ "التَّسْلِيَّةُ" «divertissement». وَهَذَا يُؤَيِّدُ أَنْ تَكُونَ الرِّيَاضَةُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَقْتُ فَرَاغٍ، وَأَنْ تَكُونَ مِنْ ثَمَّ نَقِيضًا لِلكَدِّ وَالْعَمَلِ. غَيْرَ أَنَّهُ وَقْتُ فَرَاغٍ فَاعِلٌ، لِذَلِكَ فَهُوَ أَيْضًا نَقِيضٌ لِرَاحَةٍ أَوْ تَسْلِيَةٍ يُكْتَفَى فِيهَا بِمَجْرَدِ دَوْرٍ مُنْفَعِلٍ (فَأَنْ تُشَاهِدَ مَبَارَاةً عَلَى التِّلْفَازِ، لَا يَعْنِي أَنَّكَ تَمَارَسُ الرِّيَاضَةَ). هَلْ يَنْبَغِي إِذَنْ أَنْ يُضَافَ هَذَا الْبُعْدُ - أَيِ وَقْتِ الْفَرَاغِ وَاللَّاحْتِرَافِيَّةِ non-professionnalisme - إِلَى تَعْرِيفِنَا لِلرِّيَاضَةِ؟ كَلَّا، فَكُلُّ رِيَاضَةٍ بِإِمْكَانِهَا أَيْضًا أَنْ تَصِيرَ حِرْفَةً. فَلِذَلِكَ لَيْسَتْ الْهَوَايَةُ جِزَاءً مِنَ جَوْهَرِ الرِّيَاضَةِ، وَلَا هِيَ أَيْضًا نَقِيضًا لَهَا. وَلَيْسَ لِأَيِّ رِيَاضَةٍ أَنْ تَصِيرَ احْتِرَافِيَّةً، إِلَّا إِذَا غَدَّتْ مَشْهَدًا لِلْفُرْجَةِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا لِغَلِّ عَرَضِيَّةٍ، غَرِيبَةٍ عَنِ الرِّيَاضَةِ ذَاتِهَا. فَيَبِينُ أَنَّ تَلْعَبَ كِرَةَ الْقَدَمِ أَمَامَ مَائَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمُتَفَرِّجِينَ، وَبَيْنَ أَنْ تَلْعَبَهَا رِفْقَةً جَمَاعَةً مِنَ الْأَصْدِقَاءِ، تَنْشَأُ اخْتِلَافَاتٌ وَاسِعَةٌ مِنَ النَّاحِيَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ. وَلَكِنْ ذَلِكَ لَنْ يَغَيِّرَ كَثِيرًا مِنَ طَبِيعَةِ التَّمَرُّنِ: سَتَظَلُّ لَاعِبًا لِكِرَةِ الْقَدَمِ لَا غَيْرِ، أَيِ مَمَارَسًا لِلرِّيَاضَةِ.

وحتى إن لم يكن هذا البُعدُ المتعلِّقُ بمشهد الفُرجة، والمتعلق أيضا بالاحتراف والتجارة (اقتصاد الرياضة *le sport-business*)، جزءاً من جوهر الرياضة، فإنَّ من شأنه التأثير على ما تحتله من مكانة في المجتمع. فلا أحدَ اليومَ يَغْفُلُ عن ملاحظة أنَّ مكانتها صارت على جانبٍ عظيمٍ من الأهمية، لم يسبق أن عرَفْتَهُ قَطُّ، بل أخالُ تلك المكانة على شيء من الإفراط. ولكيَّ سَأستفيض في مناقشة هذا الأمر، بمَعونة فرانسوا ليفوني François L'Yvonne، فيما سَيلي من صفحاتٍ...

## الرِّيَاضَةُ وَالْحَيَاةُ

أَنْ لَا يَكُونَ لِلرِّيَاضَةِ فِي أَعْمَالِكَ مَكَانَةً بِالْغَةِ الْأَهْمِيَّةِ، فَذَلِكَ أَدْنَى مَا يُمَكِّنُ قَوْلَهُ. أَفَلَا يَجُوزُ مَعَ ذَلِكَ، أَنْ تَحْتَلَّ مَكَانَةً مِنْ حَيَاتِكَ؟ وَإِذَا كَانَتْ الْفَلَسَفَةُ بِحَسَبِ مَا تَرَاهُ، تَسْتَوْجِبُ أَنْ تَكُونَ حَيَاتُنَا غَرَضاً لِتَفْكِيرِنَا، كَمَا تَسْتَوْجِبُ أَنْ نَحْيَا وَفَقاً لِمَبْلَغِ تَفْكِيرِنَا، فَحَقِيقٌ أَنَّ الرِّيَاضَةَ مَتَى شَغَلَتْ مِنْ حَيَاتِكَ مَكَانَةً ذَاتَ أَهْمِيَّةٍ، شَغَلَتْ مِنْ تَفْكِيرِكَ الْمَكَانَةَ نَفْسَهَا... فَهَلْ تَكُونُ الرِّيَاضَةُ فِي رَأْيِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يُؤْبَهُ لَهَا؟

من المبالغة القولُ إنها "أمرٌ لا يُؤْبَهُ لَهُ". و لكنَّ الرِّيَاضَةَ عِنْدِي لَيْسَتْ بِالْأَمْرِ الْمُهْمِّ. عَلَى أَنَّ أَعْمَالِي لَيْسَتْ وَحدهَا الَّتِي تَوَلِّيهَا قَدراً ضئيلاً مِنْ الْإِهْتِمَامِ، فَذَلِكَ مِمَّا يُلَاحِظُ فِي الْفَلَسَفَةِ إِجْمَالاً! وَلَوْ أَنَا اسْتَقْصَيْتُنَا عَنْ ذَلِكَ بِإِمْعَانٍ، لَصَادَفْنَا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ نَصُوصاً لِفَلَسَفَةِ يَتَنَاوَلُونَ فِيهَا مَسْأَلَةَ الرِّيَاضَةِ (الْجَمْبَازِ عِنْدَ أَفْلَاطُونٍ أَوْ أَرِسْطُوطَالِيْسٍ، السِّبَاقِ أَوْ الْمَصَارَعَةِ عِنْدَ إِبِكْتِيْتُوسِ، الخ...)، وَ لَكِنْ ذَلِكَ لَا يَقَعُ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ التَّزْرِ مِنْ الْمَرَّاتِ، وَحَتَّى إِنْ وُجِدَتْ هَذِهِ النُّصُوصُ، فَلَا يُشَارُ فِيهَا إِلَى الرِّيَاضَةِ إِلَّا بِشَكْلِ عَابِرٍ، لَا تَعْدُو فِيهَا أَنْ تَكُونَ مَجْرَدَ مِثَالٍ لِلتَّوَضُّيْحِ، عِوَضاً مِنْ أَنْ تَكُونَ مَوْضُوعَهَا الرَّئِيسِ. وَهَذَا يُوَكِّدُ عِنْدِي أَمراً مِنَ الْبِدَاهَةِ بِمَكَانِ، وَ لَكِنَّمَا بِدَاهَةٌ نَحْوِ عَصْرِنَا الَّتِي يَسِيْطِرُ عَلَيْهِ الْإِعْلَامُ إِلَى نَسِيَانِهَا، ذَلِكَ أَنَّ الرِّيَاضَةَ لَيْسَتْ أَهَمُّ مَا فِي الْحَيَاةِ، وَلَا هِيَ أَهَمُّ مَا فِي الْمَجْتَمَعِ، أَوْ فِي الْحَضَارَةِ! أَوْ بِعِبَارَةٍ أَوْضَحُ: الرِّيَاضَةُ مِنَ النَّاحِيَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ، شَأْنٌ ثَانَوِيٌّ. بَلْ هِيَ أَقْلُ شَأْنًا فِي حَيَاتِي، إِذْ أَنِّي لَمْ أَمَارِسْهَا مِنْذُ

أمد طويل! وبالرغم من أن حياتي غنيّة جداً بالأنشطة، من مَشْيٍ وَبَسْتَنَة و تقطيعِ أخشابٍ و حركةٍ كثيرة، فإنّي لم أمارس من زمن بعيدٍ أي نوع من الرياضات. لقد لعبتُ كرة القدم في ريعان شبابي مثل جميع أقراني تقريباً، وقد اتَّفَقَ لي أن مارستُ ركوب الدراجة الهوائية، بهمةٍ كبيرةٍ أحياناً. وحين بلغت سنَّ الثلاثين أو الأربعين كنت أتعاطى لقليلٍ من العدو البطيء، حفاظاً على لياقتي البدنية... ثم انقطعتُ من بعدُ عن كل ذلك، دون أن أفقدَ عافيتي! لعلّك تذكرُ لما سأل أحد الصحافيين تشرشل عن سرِّ عُمره المديد، فأجابه تشرشل: "الويدسكي ولفائف السيجار ولا شيء من الرياضة". إنها من عباراته التي تجعله عندي من أطرف الناس.

ومع ذلك، فإنّي أعنى بالرياضة لسببين. أولاً لأنها صارت ظاهرة تسمُّ المجتمع بميسمها، وإن تمَّ ذلك على الأخصِّ في شكل مشهَدٍ للفرجة. فقد أمسى لها في وسائل الإعلام مكانةٌ على جانبٍ كبيرٍ من الأهمية. والسبب الثاني أعلّقُ بي شخصياً، إذ صارت الرياضة تعيني لكوني أباً للأسرة. فقد اتَّفَقَ أن أزرُقَ بثلاثة أبناء صاروا مثل كثير ممّن ينتمون إلى جيلهم، متحمسين لكرة القدم، وهم لا يزالون كذلك على أقل تقدير، فهم بالمناسبة من مشجعي فريق أولمبيك مارسيليا (OM)، وقد كان عليّ، من حيثُ كوني مواطناً وأباً للأسرة، أن أرى الأشياء على ما هي عليه: فالرياضة ليس لها أية أهمية في حياتي الخاصة، وليس لها من وجهة نظري إلا قليلُ أهميّةٍ في ذاتها، ولكنها أمست، على نحو يُشعرك بوجود مُفارقة، تحتلُّ مكانةً على قدر كبير من الأهمية - بل على قدر يزيد عن اللزوم - في المجتمع، ولاسيما في أوساط شبابنا. فهذا يستحق منا أن نُفكر فيه!

سبينوزا، وهو أحد الفلاسفة الذين تعلّمت منهم، ألّقى سؤالاً شهيراً: "ماذا في استطاعة الجسد أن يفعل؟". فهل بإمكان الرياضة أن تُسعِفنا، من وجهة نظر مادّيّة، في الإجابة على هذا السؤال؟

لا شك في قدرتها على ذلك، و لكن ليس بشكل حاسم. فالجسم البشري بإمكانه أن يقطع مسافة المائة متر عدّوًّا، في أقلّ من عشر ثوان. فمن يأتبه لذلك؟ غير أن ثمة ما هو أهمُّ! هو معرفة الحدّ الذي يمكن لقدرة الجسد أن تبلغه. فبمقدوره أن يجري بسرعة تزيد أو تنقص، أو أن يقفز ما أمكّنه ذلك إلى أعلى، أو أن يتلاعب بالكرة أو يراوغ بها، إلخ... ولكن في مقدوره أيضا الكلام والتفكير، والحب والمعرفة، والإرادة والخلق و الإيجاب، والإرضاع والتربية، والمداعبة والاشتهاء والتأمل، والصلاة والإعجاب والضحك...

وما أكثر الإمكانات التي أحسّها أهمّ من سرعة عدّاء في المسافات القصيرة، أو وثبّة ممدودة لرياضيّ في القفز، أو من مهارة فائقة للاعب لكرة القدم! فأنت تكون فيلسوفا ماديًّا، على نحو ما أنا عليه، لا يعني أن تُنزل الجسد منزلة أعلى من العقل، بل يعني أن ترى أنّ العقل جزءٌ من الجسد، وأنّه وظيفة هي بلا شك أرقّ وظائف الجسد. وفي اللغة التي تخصّني، أستطيع التعبير عن ذلك بما يلي: الجسدُ أساسٌ، والعقلُ رئيسٌ (Primat du corps, primauté de l'esprit). الجسد من الناحية الموضوعية أكثر أهميةً، ما دام العقلُ يخضع له، ولكن العقل يفوقه قيمةً، إذ لا توجد أي قيمة خارج تقديره.

هذا لا يمنع من ممارسة الرياضة أو الاهتمام بها، و لكن ذلك ليس من شأنِي. حتّى أني لا أعلم من العدّاء صاحب الرقم القياسي الحالي في مسافة المائة متر، كما لا أعلم الفريق الذي حاز الكأس العالمية الأخيرة في كرة القدم. ما ذلك بذي أهمية. فأنت تهتمّ وتأمل وأفهم، أحبُّ إليّ من كل ذلك!

أَرَأَيْتَ لَوْ آتَى هَيَأْتُ قَائِمَةً بِالْأَلْفِ شَخْصٍ مِنَ الَّذِينَ يَسْتَأْثَرُونَ  
بِإِعْجَابِي دُونَ بَاقِي النَّاسِ، فَبِكَلِّ تَأْكِيدٍ لَنْ تَجِدَ بَيْنَهُمْ أَيَّ رِيَاضِيٍّ! فَيَلِيسُ  
لِأَعْظَمِ الْأَبْطَالِ الرِّيَاضِيِّينَ مِنْ أَهْمِيَّةِ تُدَكَّرِ، إِذْمَا وَضَعْتَهُمْ إِزَاءَ بَاخٍ أَوْ  
أَيْنِشْتِينَ، أَوْ أَرْسُطُوطَالِيْسٍ أَوْ شَكْسْبِيرِ، أَوْ مِيكَائِيلِ أَنْجِيلُو أَوْ إِيْتِي  
هَيْلِسُومِ ETTY HILLESUM، أَوْ كَابَالِيْسِ Cavallès أَوْ نِيلِسُونِ مَانْدِيلَا! إِذْ أُنِي  
أُولِي لِقْوَةَ التَّفَكِيرِ وَالْحُبِّ وَ الْإِرَادَةِ - أَيِّ لِلذِّكَاةِ وَالْعَاطِفَةِ وَالْإِرَادَةِ - أَهْمِيَّةً  
أَكْبَرَ مِمَّا أُولِي لِقْوَةَ الْعَدُوِّ أَوْ الْقَفْزِ أَوْ رِكْلِ الْكُرَةِ!

وَلَا يَنْطَبِقُ هَذَا عَلَى الشَّخْصِيَّاتِ التَّارِيخِيَّةِ فَحَسْبُ، بَلْ يَنْطَبِقُ  
أَيْضًا عَلَى مَنْ هُمْ أَقْرَبُ إِلَيَّ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ، فَإِنَّ مَا أَكُنْتُ لَهُمْ مِنْ مَوَدَّةٍ، لَيْسَ  
رَهِينًا قَطْعًا بِأَدَائِهِمُ الرِّيَاضِي، الَّذِي أَكَادُ لَا أَعْلَمُ عَنْهُ شَيْئًا، بَلْ رَهِينًا بِمَا  
يَحْمِلُونَهُ مِنْ خِصَالٍ عَاطِفِيَّةٍ وَ فِكْرِيَّةٍ. فَصَدِيقِي أَلْكَسَنْدَرِ جُولِيَانِ  
Alexandre Jollien مثلاً، وَهُوَ الْمُعَاقِقُ أَشَدُّ مَا تَكُونُ الْإِعَاقَةُ، وَالرَّائِعُ أَشَدُّ مَا  
تَكُونُ الرُّوعَةُ، هَلْ يَهْمُ إِذَا كَانَ يَجْرِي بِسُرْعَةٍ أَقْلَ مِنَ الْآخَرِينَ؟ وَ مَهْمَا يَكُنْ  
مِنْ أَمْرٍ، فَإِنَّ تَكُونَ ذَا مَيْلٍ إِلَى الدُّعَابَةِ، ثَاقِبَ الْفِكْرِ، قَطِنًا، شَجَاعًا، أَهْمُ  
لَكَ مِنْ أَنْ تَجْرِي مُسْرَعًا أَوْ بَطِيئًا!

وَلَكِنَّ طَائِفَةً مِنَ الْفَلَسَفَةِ شَغَلُوا فِكْرَهُمْ بِمَوْضُوعِ الرِّيَاضَةِ ...  
مِنْهُمْ مِثْلًا مِيشَالِ سِيرِ Michel Serres الَّذِي أَتْنِي فِي صِدَارَةِ  
كِتَابِهِ « Variations sur le corps » (1999) عَلَى أَسَاتذَتِي فِي التَّرْبِيَةِ الْبَدْنِيَّةِ،  
لَأَنْهُمْ "عَلْمُوهُ كَيْفَ يُفَكِّرُ". فَهَلْ لَنَا تَصَوُّرٌ أَنْ نَتَعَلَّمَ التَّفَكِيرَ عَنْ طَرِيقِ  
الرِّيَاضَةِ؟

قَدْ يَصُدِّقُ مِثْلُ هَذَا التَّعَلُّمُ عِنْدَ مِيشَالِ سِيرِ، أَمَا عِنْدِي فَلَا يَصَدِّقُ. بَلْ  
قَدْ لَا اسْتِطَاعَ ذِكْرَ اسْمِ أَيِّ مِنْ أَسَاتذَتِي فِي التَّرْبِيَةِ الْبَدْنِيَّةِ، فَبِالْأَحْرَى أَنْ  
أَتَذَكَّرَ شَيْئًا مِمَّا عَلَّمُونِي. لَقَدْ تَعَلَّمْتُ كَيْفَ أَفَكِّرُ، مِنْ أَسَاتذَتِي فِي مَادَّةِ

الفلسفة خاصة، وبدرجة أكبر من الفلاسفة مثل سبينوزا الذي سبق أن ذكرته قبل حين، أو مثل أبيقور أو أرسطوطاليس، أو ديكارت أو كانط. ولا يعني هذا أنه لا ينبغي أن تكون للرياضة المكانة اللائقة بها في نظام تربوي حسن التصميم! ونحن نعلم منذ عهد قدماء الإغريق والرومان [أصحاب العبارة]: العقل السليم في الجسم السليم، (باللاتينية في النص الأصلي)، أن للرياضة دوراً عليها أن تؤديه... غير أن الرياضة ليست سوى أداة أو وسيلة. فليس الهدف من التربية هو صنع أبطال، ولا حتى مجرد رياضيين، بل هدفها هو خلق عقول حرة.

هل يبدو لك أن من الصَّغْبِ تصوّر أن تتعلّم التفكير من أستاذ في التربية البدنية؟

لِنَحْفَظْ عن ظَهْرِ قَلْبِ عبارة سبينوزا: "إننا لا نشتهي الأشياء لأنها لذينة، ولكننا بخلاف ذلك، لا نجدُها لذينة إلا إذا اشتهيناها فقدَرنا أنها كذلك." فإن كنت تحبُّ الرياضة، فإنها ستحتل من حياتك مكانة بارزة، حتى أنها قد تُعينك على التفكير، أما إن كنت لا تحبها، فلن تشغل بالكَ إلا قليلاً، ولن تتعلّم منها شيئاً. إن الأشياء التي تُعلِّمنا التفكير، هي دائماً الأشياء التي نُحبها: فقد علّمني الجنسُ كيف أفكر، والحبُّ أيضاً، كما علمتني ذلك السياسةُ والكتابةُ والتدريسُ والأبوةُ، والصدّاقةُ والحسرةُ (على فقد شخص عزيز)، والفنُّ والفلسفةُ... وما أكثرَ التجارب من مثل ذلك، هي عندي على جانب كبير من الأهمية. أما الرياضةُ فلا. ولا يمنع هذا من ترجيح أن تكون الرياضة قد اكتست أهمية كبيرة في حياة ميشال سير، أو أنها قد علّمته كيف يفكر. فليَنعَمْ بكل الخَيْرِ منها!

ليست الرياضة شأنًا متعلقًا بالأداء الأفضل فحسب، بل هي أيضاً تجسيدٌ لنموذج من التمرن على التحكّم في الجسد، وتقوية إمكاناته...



هذا صحيح. غير أننا لا نتعلّم التحكّم في الجسد، من الرياضة وحدها. لاحظ الأطفال، فإنهم يتعلمون الوقوف و المشي والكلام والنظافة، زمناً طويلاً قبل أن يمارسوا الرياضة! لقد عانيتُ وأنا طفلٌ من عَيْبٍ في النطق؛ فلم أتمكّن من التحكّم في لساني إلا بعد صراعٍ طويلٍ أليمٍ. ثمّ مارستُ من بعد ذلك العدوّ البطيء، مدّةً طويلة، تعلمتُ خلالها بلا شك بعض الأشياء - بيدَ أنني أجد صعوبةً في تحديد هذه الأشياء (إلا إذا أمكّن أن أستثني ما تعلّمته من قيمةٍ للتواضع: فقد كنتُ دائماً أطمح إلى أن أجريّ بسرعةٍ تفوق ما يَسْمَحُ به مستوى التدريب الذي بلغته). لكنني مارستُ أيضاً، ولا أزال أمارسُ وإن يكن ذلك بغير انتظام، التأمل في هيئة الجلوس، مع الصمت وخُلُوّ البال من كل خاطر - وهو ما يُعرفُ بالزّازين le zazen عند اليابانيين. فما أكثر ما تعلمتُ من هذا النوع من التأمل! أمّا من ناحية التحكّم في الجسد و السكون التّام و التنفس والتركيز، فقد وجدتُ ثمّ يَنابيعَ زاخرةً للتعلّم، أينَ منها السِّبَاقُ على الأقدام!

نوشكُ أن نلامس قيَمَ الصِّمْتِ...

إنّما نحن كذلك، لأننا أشدُّ قرْباً من التركيز الصِّرف. كانت سيمون فايل Simone Weil تقول: "التركيزُ الخالصُ كُليّاً صلاةٌ." غيرَ أنها صلاةٌ بدون ألفاظ ولا دعوات. لذلك فإني لا أعدّها من الصلاة الشائع معناها بين الناس، بل هي عندي صلاةٌ أقربُ ما تكون إلى التأمل وإمعان التفكير. ففي أي شيء يكون هذا التركيزُ إذن؟ في لاشيء: أي في كل شيء. في الحاضر الذي يمضي ويستمر، والذي يمضي ويبقى... فتلك هي الأبدية الوحيدة الممكنة. أن تكون في هيئة الجالس، مستقيم الطَّهر، ساكن الحركات، ملتزماً بالصمت، فذلك بالتأكيد تمرينٌ للجسد، أو ذلك بتعبيرٍ آخر هو: السُّكون الفعّال! وإجمالاً إذا كان الجسدُ يُفيدني ومُهمني كثيراً (فكتابي

الأول عنوانه: (Du corps)، فإن الرياضة ليس لها عندي إلا القليل النَّزْر من الأهمية. فمن حيث كوني كائناً له جسدٌ، ليس القليلُ ممَّا أمارسه من رياضةٍ هو ما تجد فيه نفسي شعوراً بالرضا، بل تجد ذلك في الحياة اليومية، في مُتَع الطعام، و ملذات الحب، في ممارسة البستنة أو الترميق، في المشي ( وإِنَّمَا هو مشيٌّ لا يتعلق، من حيث الطريقة التي أمارسه بها، بمزاولة الرياضة بقدر ما يتعلق بالقيام بنزهةٍ أو جولةٍ)، بل قد تجده بقدرٍ أكبرٍ في ممارسة التأمل. وقد كان مونتيني Montaigne يقول: "نحنُ كائناتٌ جسدِيَّةٌ عجيبة". و لئن كنتُ أنفق مع مونتيني، فإنني مع ذلك لا أنسُ حاجةً إلى ممارسة الرياضة، كي أفهم معنى قوله أو أتذوقه!

## الْهَدَفُ وَالْغَايَةُ

(سكوبوس و تيلوس skopos et telos)

إلّا أنّنا نَصَادِفُ في أعمالك استشهاداتٍ إلّا يَكُنْ لها من اهتمامٍ بالرياضيّ، فإنّها على الأقل تهتم بالمسألة الرياضيّة. يتّضح ذلك من كتابك: «une éducation philosophique» (PUF, 1989, pp :215-216)، حيثُ تُمَيِّزْ مَقْتَفِيّاً خطواتِ الرّو اقيّين، بين السكوبوس والتيلوس، بين الهدف والغاية، بين نمطين من العلاقة بالزمن...

بل بالزمن والفعل! إنّ ذلك الكتاب من النصوص القليلة حيثُ تحدثتُ عن الرياضة... وحيث رجعتُ إلى التمييز الذي جعله الرّواقيون بين السكوبوس ("الهدف") و التيلوس ("الغاية" بمعنى الغائيّة). ولنوضّح ذلك بمثالٍ محسوس يتعلق بسباق العدو؛ فالهدف في هذا السباق هو بلوغ خطّ الوصول، أو الفوز. فالمتسابق وهو يعدو، يكون هذا الهدف بالنسبة إليه من غيبِ المستقبل، بما أنه لم يشهدْ بعدُ تحقُّقه. أمّا الغاية من هذا السباق فهو العدو - طيلة المدة التي يستغرقها السباق - بأقصى سرعة ممكنة. فإذا كان الرياضي ما يزال في عدوّته الثالثة، فذلك يعني أنه لم يبلغ بعدُ هدفه، بما أنه لم يصلْ بعدُ إلى خط الوصول. ولكنه إذا صار يعدو بأسرع ما يمكن، فعندئذٍ يكون قد حقّق غايته! بل بمجرّد أن ينطلق في السباق، يكون نجاحُ هذه الانطلاقة هو غايته، فإذا نجح في انطلاقة فوّزَ مغادرته لمُسندتَي الانطلاق، يكون حينها قد حقّق غايته! أمّا السكوبوس أو الهدفُ، فهو دائماً ما يُتَوَقَّعُ حدوثه في المستقبل، فهو لا يوجد أبداً في الآن الذي نحن فيه (فما إنْ نصلُ إليه حتى نجد أنه لم

يَعُدُّ هَدَفًا: فالسباق يكون عندئذٍ قد انتهى). وأما التيلوس (أي الغائية الداخلية للفعل) فهي حاضرةٌ دوماً، آنيّةٌ أبداً، فهي موجودة دوماً في الآن الذي نحن فيه، على الأقلّ حالما يكون تصرُّفنا صائباً. فالهدفُ يَصلنا عن السعادة (بما أننا لا نبلغ السعادة، حسب ما يُتصوَّرُ في أوهامنا، إلاّ إذا بلغنا ذلك الهدف؛ [و كأنّي بكلِّ عداءٍ يقول في نفسه]: "كم أكون سعيداً، لو أُنِي ربحْتُ السباق!")، أمّا الغايةُ فإنها تنقلنا إلى تلك السعادة [و كأنّي بكلِّ عداءٍ يقول في نفسه]: "يا لسعادتي و أنا أجري!")

لقد سَبَقَ أن قلتُ لك إنني مارستُ العَدُوَّ البطيء في شبابي، وعلى نَحْوِ أدقِّ حين كان عُمْري يقاربُ سن الثلاثين. فما الذي يجعلك تتقدمُ إلى الأمام، وقد انطلقتَ تَعُدو؟ لا جَرَمَ أن ما يجعلك كذلك هو الرغبة، بما "أنّ الرغبة هي القوة المُحرِّكة الوحيدة"، وفقاً لما كان يقول أرسطوطاليس. ولكنّ أيُّ نوع هذه الرغبة؟ هل هو النقصان، كما عند أفلاطون؟ أم هو القوة عند سبينوزا؟ لا بد من الإقرار أن الرغبة تكون في الغالب من نوع النقصان! فإنك تجري للحصول على شيءٍ يَنقُصُك، أي على شيء ليس بحوزتك، أو لم تَحْزُه بعدُ: مثل الرشاقة المثالية، الصحة الجيدة التي تريد مجيئها مع المستقبل (هاتيك التي ليست في حوزتك!)، أو شبابك (الذي لم يعد كما كان في ريعانه)، أو ربما الكيلوغرامين اللذين تَوَدُّ أن تُنقصَهما من وزنك، أو إصابة الهدف الذي رسمته لعدوك فحَسْبُ، كأن تُحدِّدَ نصفَ ساعةٍ مُدَّةً لذلك ("ما أشوقني لإنهاء هذه المدة من العَدُو!")، أو كأن تكتفي بالجري إلى حيث تسكن ("ما أشوقني للوصول إلى منزلي!"). كيف يمكنك أن تكون سعيداً، و أنت ترغبُ فيما لا تملك، وتشتهي ما تفتقر إليه؟ كيف يمكنك ذلك و أنت لا تملك ما تشتهي (من حُسْنِ قِوَامٍ أو صحة جيدة، أو شباب أو رشاقة أو نصف ساعة جهداً،

أو استراحة)؟ فإنك ما تكاد تشرع في الجري، حتى تسبقك اللففة إلى أن تستريح منه!

غير أن الأمر قد يسيرُ بخلاف ما هو متوقَّع. فإنك لا تكاد تعدو مدَّة خمس دقائق أو ستّ، حتى يباغتك فيما يشبه المعجزة، شعورٌ بأنَّ طاقةً جديدةً قد حلَّت بكيانك! فيتَمَلَّكُ إحساسٌ بذهاب كل الآلام عن جسمك، وبخفة تسري في ساقيك، وبإيقاعٍ متنسِّقٍ في نَفْسِكَ، وانبساط يغمر ذهنك: فتجد نفسك في غاية الرضا، بل تجد فيها من الرضا ما يدعو إلى الدهشة! ويُرَاوِدُكَ طائِفٌ من الظَّنِّ -هو من الأوهام بلا أيّ شك- يوحي إليك أنك تستطيع أن تواصل الرِّكْضَ دون انقطاع. ليس من شكٍّ في أن كلَّ هذا ينشأ من تأثير الإندورفينات [التي يُفرزها مُخُّكَ]، ولكن ما كان لهذا النوع من التأثير أن يكون سبباً كافياً وحده لذلك. فلأنك أيضاً في حالٍ تنسى فيها ما يتتابك من خوفٍ على صحتك، وتنسى الشباب الذي ولى على حين غفلةٍ، كما تنسى تخسيس الكيلوغرامين من الوزن: فلا تشتهي وأنت على تلك الحال إلا هذه العُدوات التي تُعدوها، اشتهاءً تستشعره في اللحظة نفسها التي تعدو فيها تلك العُدوات! تلك أجمل الأوثان من السباق على الأقدام. تنسى الهدف (الصحة، الشباب، الرشاقة، النصف ساعة من الجهد، وما يتلو ذلك من راحةٍ)، ولا تنقطع في كل عُدوةٍ تعدوها في مَشْهُودٍ حاضرِك، عن إصابة الغاية التي هي عُنُ تلك العُدوة.

والمثال فيما إذا كنت تلعب كرة المضرب أو كرة القدم، لا يقلّ وضوحاً: فإن هدفك الذي تسعى إليه من ذلك اللعب هو إحراز الفوز. ولكنك حين تبلغه أو تقصُر عنه، يكون الأوان قد فات إذ تكون المباراة قد انتهت. أمّا الغاية فهي أن تلعب، مادامت المباراة متواصلةً، بكل ما تملك

من مهارة، بالقدر الذي يسمحُ به مُسْتَوَاك: فَحَسْبُكَ أَنْ تَكُونَ فَطِنًا، مُتَنَبِّهًا لِكَيْ تَتِمَّكَنَ فِعْلًا مِنْ إِدْرَاكَ ذَلِكَ.

لِنَسْتَشْهَدُ بِالْمِثَالِ الَّذِي كَانَ يَتَمَثَّلُ بِهِ الرِّوَاقِيَّونَ، مِثْلَمَا كَانَتْ تَتَمَثَّلُ بِهِ بَعْضُ النُّصُوصِ الْبُودِيَّةِ أَوْ الطَّوَاوِيَّةِ: مِثَالِ رَامِي الْقَوْسِ. وَلِنَتَصَوَّرُ أَنَّ فِي الْمِبَارَاةِ النَّهَائِيَّةِ مِنْ مَسَابِقَةِ الرَّمَايَةِ بِالْقَوْسِ، فِي دَوْرَةٍ مِنْ دَوْرَاتِ الْأَلْعَابِ الْأُولمبيةِ. فَإِذَا بَكَلِ رَامٍ مِنَ الرَّمَاةِ الْمَشَارِكِينَ فِي هَذِهِ الْمِبَارَاةِ، يَقُومُ لَمَّا تَحِينُ نَوْبَتُهُ، لِتَسْدِيدِ سَهْمِهِ نَحْوَ الْهِدْفِ. فَإِذَا مَا عَزَمْتَ عَلَى اسْتِجَابِ هَؤُلَاءِ الرَّمَاةِ الْوَاحِدِ تَلَوَ الْأَخْرَ، ثُمَّ بَادَرَتْ بِتَوْجِيهِ السُّؤَالِ إِلَى أَوْلِهِمْ: "تَأْمُلُ إِذَنْ إِيصَابَةَ الْهِدْفِ؟"، فَإِنَّهُ يَجِيبُكَ بِأَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ بَدِيهِيٌّ، مَا دَامَ يَخُوضُ مِبَارَاةَ أُولمبيةِ نِهَائِيَّةٍ! وَلَأَنَّ "مَا مِنْ أَمَلٍ إِلَّا وَالْخَوْفُ يُدَاخِلُهُ" بِحَسَبِ قَوْلِ سِبِينُوزَا، فَالزَّامِي وَهُوَ يَأْمُلُ إِيصَابَةَ الْهِدْفِ، لِامْحَالَةِ سِيخْشِي مِنْ أَنْ يَطِيَشَ سَهْمُهُ عَنِ ذَلِكَ الْهِدْفِ. فَذَلِكَ مَا يُعْرَفُ بَيْنَ الرِّيَاضِيِّينَ "بِالضَّغْطِ". وَبِقَدْرِ مَا يَقْوَى أَمَلُ ذَلِكَ الرَّامِي فِي إِيصَابَةِ الْهِدْفِ، وَيَغْظُمُ إِحْسَاسُهُ بِوُجُودِهِ فِي الْمِبَارَاةِ النَّهَائِيَّةِ، بِقَدْرِ مَا يَشْتَدُّ خَوْفُهُ مِنْ أَنْ يَفْشَلَ فِي ذَلِكَ. إِلَّا أَنَّهُ يَصِيبُ الْهِدْفَ رَغْمَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ مِنَ الْأَبْطَالِ الْكِبَارِ، غَيْرَ أَنَّ الْإِحْسَاسَ بِالضَّغْطِ، يَجْعَلُ يَدَهُ تَرْتَعِشُ قَلِيلًا، فَإِذَا سَهْمُهُ يُخْطِئُ فَلَا يُصِيبُ قَلْبَ الْهِدْفِ.

وَإِذَا وَجَّهْتَ السُّؤَالَ نَفْسَهُ إِلَى بَاقِي الرَّمَاةِ الْمَشَارِكِينَ فِي هَذِهِ الْمِبَارَاةِ النَّهَائِيَّةِ، فَسَتَلْقَى الْإِجَابَةَ ذَاتَهَا الَّتِي تَلَقَّيْتَ مِنَ الرَّامِي الْأَوَّلِ، فَجَمِيعُهُمْ يَرْجُونَ إِيصَابَةَ الْهِدْفِ، لِأَنَّهُمْ مَا جَاؤُوا لِهَذِهِ الْمَسَابِقَةِ إِلَّا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، وَلَئِنَّ الْأَمْرَ يَتَعَلَّقُ بِالْأَلْعَابِ الْأُولمبيةِ، وَلِأَنَّهُمْ أَمْضَوْا سِنُواتٍ عَدِيدَةً اسْتِعْدَادًا لِمِثْلِ هَذِهِ الْمِبَارَاةِ النَّهَائِيَّةِ... إِلَّا أَنَّهُمْ يَتَطَلَّعُونَ كَافَّةً إِلَى إِيصَابَةِ الْهِدْفِ، فَلِذَلِكَ سَيَشْعُرُونَ كَافَّةً بِالْخَوْفِ مِنْ أَنْ يُخْطِئُوهُ. إِنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِالسَّعَادَةِ، مَعَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَوَتَّرٍ وَقَلْبٍ وَطَمَعٍ وَجَزَعٍ. وَكُلُّ يُسْرُ

الحديث لنفسه: "لو أصبت قلبَ الهدف، وفُزْتُ بالميدالية الذهبية، لكنك سعيداً أشدَّ ما تكون السعادة!". وحتى قبل أن يرموا سهامهم عن أقواسها، يتَوَهَّمون أنفسهم على منصة الأبطال الفائزين! هل ثَمَّة ما هو أغبي من هذا؟ وهل ثمة ما هو أدنى إلى الفهم من هذا؟ إنَّما هم أطفالٌ مثلنا جميعاً، مَلِيئُونَ بالأمالِ والمخاوف، مليئون بالطمع ونفاد الصبر. ترتعش أيديهم قليلاً، فإذا هم يصيبون الهدف ولكنهم يُخْطِئُونَ في أن يصيبوا تمامَ القلبِ منه.

لِنَتَصَوَّرْ أَنْكَ تُلْقِي السُّؤَالَ عَلَى آخِرِ مَنْ بَادَرَتْ إِلَى اسْتِجْوَابِهِمْ مِنَ الرَّمَاةِ الْمُشَارِكِينَ فِي الْمُبَارَاةِ النَّهَائِيَّةِ، وَلِيَكُنَّ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ رَامِيًّا قَصِيرَ الْقَامَةِ مِنَ الْيَابَانِ أَوْ مِنْ كُورِيَا، يُزْرِي بِهِ مَظْهَرُهُ، كَهَلَا، مُعَلِّمًا مِنْ مَعْلَمِي الزَّن (zen):

- إذن أنت أيضاً تأملُ أن تصيبَ الهدف؟
- لا بالطبع! لماذا تريدُ مني أن أَمَلُ إصابةَ الهدف؟
- لأنَّ الأمرَ يتعلقُ بمسابقة نهائية في الألعاب الأولمبية! ولأنك إذا كنت تُسَيِّدُ سَهْمَكَ نحو الهدف، فأنتَ إذن تأملُ أن تصيبه...
- لا قطعاً! فكيف لك أن تتوقع مني أن أصيب الهدف، مادام السهم لم ينطلق بعدُ عن قوسه.
- كيف لك و الحالة هذه، أن تُصَوِّبَ سهمك جهة الهدف، إذا كنت لا تأملُ أن تصيبه؟
- لأنني أرغبُ في هذا التصويب بالذات. والحال أن ذلك ما أقومُ به الآن، كما ترى.

قد يكون ذلك الرامي، في ميدان الرماية، الوحيد الذي يرغب فيما هو بصدد القيام به (تسييد السهم)، عَوْضاً عَنْ أَنْ يَرِغِبَ فِي شَيْءٍ مَا يَزَالُ مِنْ غَيْبِ الْمُسْتَقْبَلِ (إصابة الهدف). لا يشغله التَّرَقُّبُ: إذْ هُوَ مُنْتَبِهٌ. وَلَا

يحدوه الأمل: فحسبُه ما يريدُه في حاضره وما يقوم به في أَنه. فلا يُلَاحِظُ هدفاً (سكوبوس)، بل يصيبُ غايته في حاضره (تيلوسن). ذلك ما يُعرَفُ في الشرق بالرَّهْد في الثمرة المُتَوَقَّعة من الفِعل. صاحبنا مُعَلِّمُ الزَّن هو الوحيد من بين الرماة المشاركين في هذه المباراة النهائية، الذي لا يرغب إلا فيما يقوم به، ولا يقوم إلا بما يرغب فيه. والذي ينفرد من بينهم بكونه حُرّاً. كيف لا تمتلئُ نفسه بالطمأنينة؟ ولئن كان باقي الرماة ممّن يشاركونه خوضَ هذه المسابقة النهائية، يُطارِدون هدفها (الفوز)، ويأملون أن تُصيبَ سهامُهم أغراضها، فإنّما هم من حيثُ المبدأ، يرغبون فيما لا يملكون (مادامت المباراة لم تنته بعدُ، وما دام السهم لم يُرمَ بعدُ عن قوسه). إنه الإحساسُ الحادُّ بالافتقار إلى الشيء، كالذي يستشعره العُشّاق، بحسب أفلاطون. فأنَّ يَصَوِّبَ الرامي سهمه نحو الهدف، راغباً في إصابته، فذلك يعني رغبته في المستقبل، يعني إذن رغبته فيما لا يملك. فإنَّ ذلك ما يُعرَفُ بالرجاء، وما من رجاءٍ إلا ويُمازِجُه الخوفُ. ويقدِّر ما يحدوني الأمل لبلوغ الهدف، يقدِّر ما يُحالُّ بيني وبين السعادة، بسبب الأملِ نفسه في تحقيقها. السهم لم ينطلق بعدُ عن قوسه: فكَم أكون سعيداً، لو كان السهم قد سبق أن انطلق فأصابَ الهدف! وما أشدَّ خوفي من أن أُخطئه! أمّا الحكيم فإنه لا يرجو إصابة الهدف، بل حَسْبُه أن يُصَوِّبَ سهمه بدقة جِهَةَ الهدف. والحالُ أن ذلك ما يقوم به بالذات. فمِمَّ سيخاف إذن؟

باقي الرماة إذ يرغبون فيما لا يملكون، لا يحصلون على ما فيه يرغبون. فلذلك لا يشعرون بالسعادة، لأنَّ السعادة عندهم هي الحصول على ما يرغبون. ولا تنزل السكينة بقلوبهم، إذ يخشون أن يُخطئوا أهدافهم. أمّا الرامي الأخير فيكفيه تصويبُ السهم نحو الهدف. فلا يرغب إلا فيما يقوم به، ولا يقوم إلا بما يرغب فيه. إذ ليس في نفسه أيُّ حاجة ينقصُه سدُّها: فرغبته ليست من نوع النقصان، بل هي من نوع



القوة، أي القوة في الفعل! فَلَهُ عَوَضاً عن كلِّ أملٍ، زَحْمُ الفعل وكمال الحركة، وصفاء التركيز، وبساطة الحياة. فهو مع التركيز، يشعر بالانبساط (ذلك ما يسميه إيكيتوس بـ"المرونة")، "بلا أيّ إحساس بالضغط"، كما قد يقول الرياضيون، ولا قلقٍ. إنه حُرٌّ، مُطمئنٌّ، مُتنبِّئٌ: لذلك فهو قادرٌ، حسب نصوص الزن، على "أن يُصيب المركزَ من قلبِ القمَّة".

الرُّماة السَّابقون الذين ذكرتُ، يَحصِدون إلى إصابة هدفٍ، سكوپوس. فهم من نَمَّ يرغبون فيما لا يملكون (فكيف لهم أن يصيبوا مرمامهم، إذا لم يكن السهم قد انطلق عن قوسه؟). صاحبنا مُعلِّمُ الزن لا رغبة له في أي نوعٍ من السكوپوس، بل رغبته في تيلوس يُحقِّقه في حينه: فإنَّه لا يرغبُ وهو يسدُّ سهمه، إلّا في تسديد السهم بدقة. وذلك ما يقومُ به فعلاً. الرُّماة السابقون يرغبون في مستقبلٍ يستحيل أن يتَّقيدَ بهم وحدهم (فهناك أيضاً منافسون آخرون، واحتمالٌ أن تَهَبَّ ريحٌ على غير انتظار...)، يرغبون في مستقبلٍ ليس لهم به علمٌ. يأملون، فهم إذن خائفون. أمّا آخِرهم فلا يرغبُ إلّا فيما هو من حاضرِهِ (المشاركة في المباراة النهائية)، أي لا يرغبُ إلّا فيما هو زهينٌ به وحده (التسديد بدقة)، وذلك ما يعلِّمه.

يرغب فيما هو حاضر: إنَّما ذلك حُبٌّ لا أملٌ.

يرغب فيما يقوم به: إنَّما ذلك إرادةٌ متجسِّدة في الفعل لا أملٌ.

يُعلم ما يرغب فيه وما يقوم به: إنَّما ذلك مَعْرِفَةٌ لا أملٌ.

من ناحية الرماية بالقوس، يبدو لي إذا ما افترضنا أن الرماة المشاركين في هذه المباراة النهائية يمتلكون شروطاً متكافئة، وأنهم بالمستوى نفسه من المهارة في هذه الرياضة، أن الرامي الأخير سيحظى من

دونهم بفرصة أفضل لِيَتَفَوَّقَ عليهم. ومهما يكن من أمرٍ، فليس هذا التفوق بَمَدَارِ الاهتمام. فالحكمة أغلى من كل فوز. زد على ذلك أنه لو كان حكيماً حقاً، لَتَرَجَّحَ عندك أنه لن يُبَدِّدَ وقته بالمشاركة في الألعاب الأولمبية! إنما الرياضيون المحترفون أولى أن يُتَوَقَّعَ منهم اللجوءُ إلى ممارسة اليوغا أو التأمل...

يحمل التمييزُ بين سكوپوس وتيلوس شحنةً فلسفيةً لا تقل أهميةً. فأن نرغبَ ما ليس موجوداً، ولا يتقيدُ وجوده بنا، وليس لنا به علمٌ، فذلك يعني الاعتصامَ بالأمل و الخوف، بما يعني إذن أن نُحَرِّمَ من السعادة، في الفعل نفسه الذي يقصد بلوغها. فأولى من العبارة: "لو أصبْتُ الهدف، لكنتُ سعيداً أشدَّ ما تكون السعادة!" قولُ وودي ألان (Woody Allen): "لو كنتُ سعيداً، لكنتُ سعيداً أشدَّ ما تكون السعادة!". السابقون من الرماة المشاركين في هذه المسابقة النهائية يُكابِدون القلق: فكلماً رغبوا إصابةَ الهدف، شعروا بالخوف من أن يُخطئوه. أمَّا الرامي الأخير فلا يبالي بأصَابِ الهدف أم لم يُصِبْه. فهو حين يسدُّ سهمه نحو الهدف، إذ أن ذلك ما يرغب فيه وما يقوم به، يشعر بالسعادة. وحرِيٌّ بالحكيم، بحسب ما تقول بعضُ نصوص الرواقيين، أن يُسَدِّدَ سهمه بدقة نحو الهدف، فيُخطئه لأنَّ ريحاً مفاجئةً هبَّتْ فحادَ السهم عن هدفه، من أن يُسيءَ التسديدَ، فيصيب الهدفَ لأنَّ ريحاً مفاجئةً هبَّتْ فعادَ السهم إلى مساره الصحيح نحو الهدف. فكما يقول الشرقيون، ليس نتيجة الفعل أو ثمرته ما يُهمُّ، بل الفعلُ من حيثُ هو، أي من حيثُ خاصيته الجوهرية. فما يُهمُّ ليس هو الهدفُ - السكوپوس - بل الغايةُ - التيلوس-. فإنَّ الغايةَ مَظِنَّةً تتسع لأكبر قدرٍ من التَّفَتُّحِ والسكينة

والبساطة، ولا شك على ما يبدو لي، أنها تتسع أيضاً لأكبر قدر من النجاعة.

فضلاً عن ذلك، فالمدرّبون الرياضيون، من وجهة نظري، يعرفون هذا بقدرٍ ما. فكثيرٌ منهم ينصحون أتباعهم، كما أشرت إلى ذلك قبل حين، بممارسة اليوغا أو التأمل، بينما يكتشف غيرهم عن طريق المحاولة والخطأ، السبيل إلى البساطة وصفاء التركيز والرّهد في ثمرة الفعل. لقد سمعتُ أميلي موريسمو (Amélie Mauresmo)، بعد أن صارت مُدْرِبَةً، تُقدِّم النصيحة التالية: "عندما تَقْدِفُ الكرة، لا تَشْغَلْ بِألك بالفوز أو الهزيمة. فَكِّرْ فَقَطْ بِقذف الكرة!"

توضيحُكُ رأياً فلسفياً عن الرغبة والأمل والإرادة، بمثابة عن الرياضة، أمرٌ ليس بالهَيِّن. إِذْ مِنْ الْمُمكنِ أَنْ تَتَحَلَّى الرياضةُ بِمَرْيَّةٍ بيداغوجيةٍ...

لقد كان بمُستطاعي أن أستعير نظيراً لذلك المثال، من عالم الفن أو الأعمال أو السياسة... فلا جَرَمَ أَنَّ الرياضةَ كأيّ نشاطٍ بشريّ، قد تَتَحَلَّى بمزايا بيداغوجية. لا تقلُّ في ذلك عن غيرها ولا تزيد. لكنّ ما يدعو إلى الأسف هو الطريقة التي تُمارَسُ بها في أيّامنا هذه. فإتّنا نَحْشُو رؤوسَ أطفالنا المساكين، بأهداف عبثية تُسوّفهم إلى الرغبةِ أَبَدَ الدَّهْرِ في هدفٍ من غيب المستقبل. فأنّ نُمَيَّ طفلاً يبلُغ من العمر سبع سنوات، و ما يزال يتعلّم أولى خطواته في تبادلِ ضَرْبِ الكرة، في لعبة التَّنِيس، بأنّه قد يصبح بعد عشر سنين أو عشرين، من زُمْرَةِ أفضل اللاعبين في العالم! معناه حبسُه في الأمل، أي في الخوف. فإذا حالفَ النجاحُ أحدَ اللاعبين، فكَم

لاعِباً غيره سيُمنى بالفشل و بما يُخَلِّفه من مُرِّ الأثر؟ ذلك سؤال يطرق ذهني، كلما فكرتُ في مئات من الشباب الذين يقضون الساعاتِ من كل يومٍ، وهم يَسْبَحون على طول أروقة المسابح، من أجل ميدالية أولمبية مُحْتَمَلَةٌ يأملون الفوزَ بها بعد عشر سنين! ومع ذلك يتوقَّر ما هو أجدى لقضاء الطفولة والمراهقة و الشباب، من كثرة السباحة حتى القَرَف، على طول أروقة المسابح!

تبدولي الرياضة على النَّحو الذي تُمارَس به في معظم الأحيان، أشبه بمصِيْدَةٍ. وَيَصِحُّ هذا خاصَّةً على الرياضة القائمة على المنافسة. وقد توجَدُ في الرياضة بمقدار أقل، من الفضائل ما له صلةٌ بالعمل الإنساني، والانضباط، بل والحكمة أيضاً. فقد انخرط أبنائي الثلاثة وهم أطفالٌ بنايِدٍ لكرة القدم، بمدينة Seine-et-Marne حيثُ كُنَّا نُقيم. كان معهم إذن دَفْتَرٌ للرُّخصة، فلَمَّا جَدَّدوه في إحدى السنوات، إذا بهم يجدوه وقد كَتَبَ ديباجتَه ميشال بلاتيني Michel Platini، الذي وإن كان قد تقاعدَ من زمانٍ عن اللعب، فقد كان في ذُرْوَةِ مجده. مُجَمِّلٌ ما قاله في تلك الديباجة لتلك الناشئة الواعدة من الرياضيين: "لا تَحْلُمُ بأن تصير لاعِباً محترفاً لكرة القدم؛ ولا تحلمُ بأن تشارك في كأس العالم لكرة القدم... استمتع بضربِ الكرة وأنت تَضْرِبُ الكرة!" لقد ترك هذا القول في نفسي أثراً. فذلك أشبهُ بدرسٍ في الحكمة، لفائدة الأجيال الناشئة. إذ لو علَّمناهم كيف يستمتعون بلعِبِ كرة القدم حين يلعبونها، وبالعدو حين يعدون، ويقذف الكرة حين يقذفونها، لكان أهمُّ لهم من حَفْزِهِم على التَطَّلُع نحو الوصول، بعد عشرٍ أو خمسٍ عشرة سنة، إلى مستوى فائِقٍ (بضاهي مستوى الأبطال الكبار)، ليس من شكِّ في أنهم لن يبلغوه أبداً!

يقول السفهاء من الناس: "سِرْ إِلَى حَيْثُ يَبْلُغُ حُلْمُكَ مُنْتَهَاهُ". فماذا لو أننا توقفتنا عن الحلم بأن نَصْبِرَ أَبْطالاً! فَكَايِنُ مِنْ شَابٍّ مَا يَكَادُ يَخْطُو خَطَوَاتِهِ الْأُولَى فِي حَيَاةِ الرَّاشِدِينَ، حَتَّى تَتَبَيَّنَ لَهُ مَعَ الْحَسَرَاتِ حَقِيقَةُ الْفِشْلِ الَّذِي آلَ إِلَيْهِ: إِذْ لَنْ يَصْبِرَ أَبْداً مِنْ لَاعِبِي كُرَةِ الْقَدَمِ الْمُحْتَرِفِينَ! يَا لِلْحَسْرَةِ! يَا لِلْغِبَاءِ! يَا لِلْخَسَارَةِ!

إننا نهتدي من جديدٍ إلى العبارة التي قالها سينيكا في كتابه "رسائل إلى لوسيسيوس"، والتي يحلو لك الاستشهادُ بها: "سَاعَلِمَكَ الْإِرَادَةُ، لَمَّا تَكُونُ قَدْ نَسِيْتَ مَا تَعَلَّمْتَهُ مِنْ أَمَلٍ".

هذا صحيح إلا أنني أقلُّ تَشَدُّداً من سينيكا! فأنا لا أَحْرِمُ الْأَمَلَ عَلَى النَّاسِ: إِذْ أَنْصَحُهُمْ بِأَنْ يُقَلِّوْا مِنَ الْأَمَالِ، وَأَنْصَحُهُمْ خَاصَّةً بِالْمَعْرِفَةِ وَالْإِرَادَةِ (أَيُّ بِالْفِعْلِ)، وَأَنْ يُكَثِّرُوا مِنَ الْمَحَبَّةِ! فَالْفَوْزُ لَا يَحْقُقُهُ مَنْ يُكَثِّرُ الرَّجَاءَ فِيهِ، بَلْ يَحْقُقُهُ الْأَقْوَى مَوْهَبَةً وَالْأَفْضَلُ تَدْرِيباً (وإنما التدريب لا يكون إلا في الحاضر: لأنه متعلقٌ بالإرادة أكثر مما هو متعلق بالرجاء)، والأشدُّ تركيزاً (وهو الذي يَسْتَعِيضُ عَنْ حُلْمِ الْفَوْزِ، بِالْإِنْتِهَامِ كَلِيّاً فِي الْحَرَكَةِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا). وَهَذَا يَبْلُغُ مُنْتَهَاهُ فِي كِمَالِ الْحَرَكَةِ حَيْثُ تَتَّجِدُ الذَّاتُ بِالْفِعْلِ الَّذِي تُنْجِزُهُ، حِينَ إِجْزَاؤُهَا! أَمَّا الْبَطْلُ الْحَقِيقِيُّ فِي الرِّزْنِ، مَعْلِمُ الْحِكْمَةِ الَّذِي قَدْ يَكُونُ رِيَاضِيَاً أَيْضاً، فَسَيَمَاهُ تُعْرَفُ فِي كَوْنِهِ لَا يَرْجُو الْفَوْزَ، وَفِيمَا يَتَرْتَّبُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ عَدَمِ خَشْيَتِهِ لِلْفِشْلِ. وَهَذَا مَا يَجْعَلُهُ أَقْوَى انْتِبَاهَا، وَأَشَدَّ تَرْكِيْزاً. وَأَمَّا مَنْ يَشْغَلُ تَفْكِيرَهُ بِالْفَوْزِ أَوْ يَخْشَى الْفِشْلَ، فَيَفْصِلُهُ عَنِ فِعْلِهِ تَرْقُبُهُ نَتِيجَةً فَعْلِهِ أَوْ الْإِشْفَاقُ مِنْهَا. فَهُوَ مُنْفَصِلٌ عَنِ الْحَاضِرِ بِالْمُسْتَقْبَلِ، وَعَنِ الْوَاقِعِ بِالْخَيَالِ، وَعَنِ الْفِعْلِ

بالتفكير، وعن كلِّ شيءٍ بالأننا! وخلافاً لذلك فمنْ تحرَّرَ، ولو لمُدَّةً محدودةً، من الرجاء والخوف، فإنه يعيش كلياً في حاضره، ويتحد كلياً بالفعل الذي يقوم به. و سيكون مرهوبَ الجانب مثلَ الساموراي الذي لولا أن لاشيء يُخيفُهُ، لما استطاع أن يكون أشدَّ إخافةً لغيره! إذ لا فوزَ يأمله، ولا فشلَ يخشاه: فحَسْبُهُ أن يُصارعَ.

## أَخْلَاقُ أَرِسْتَوِقْرَاطِيَّةٍ لِلْجَمِيعِ

ألا ينبغي التمييز بكل وضوح، بين الرياضة باعتبارها تحقيقاً للذات، فضلاً عن كونها جزءاً من فخامتنا (بالمعنى الإغريقي للكلمة)، وبين الرياضة من حيث كونها تتجاوزاً للذات، مع ما يوحيه ذلك من معاني الأداء والمنافسة؟ ألسنا هنا بصدد الحديث، لا عن تصوّرين للرياضة فحسب، بل وبشكلٍ عامّ، عن موقّفين للإنسان من جسده و من الزمن؟

ينبغي التمييز خاصّةً بين رياضة نافعة (الصحة، الرشاقة، تحقيق الذات)، وبين رياضة ضارة (كما هو الشأن مُعظّم الأحيان، في الرياضات التي تقوم على المنافسة: فإنها مثلما تضرر بالجسم، تضرر في الغالب بالعقل). ألا يهولك أنّ لاعباً للكرة المستطيلة أو لاعباً منزّجاً صار محكوماً عليه بأن يظلّ مشلولاً شللاً رباعياً، وهو ما يزال في عقده الثاني؟ وأنّ لاعب تينيس في عقده الرابع، قد صار كسيحاً بسبب الالتهاب الوترّي؟ وأنّ مُلاكماً قد شاخ مُبكّراً، بسبب إصابته بالتهاب الدماغ الرّضحي أو ما يُعرف بـ "حَرْف الملاكين"؟ وأنّ رياضيّاً في ركوب الدراجات الهوائية، أو في حمل الأثقال، قد أمسى من مُدمني الأنفيتالين، أو ما تشاء من أنواع المنشطات؟ وأنّ كلّ هؤلاء الرياضيين الذين كانوا بالنسبة إلينا بمثابة مشاريع أبطالٍ للمستقبل، صاروا يجترونها خيبتهم، لأنهم لم يحققوا ما كانوا يأملون من مسارٍ رياضي و من مجدٍ؟ بكل صراحةٍ، فَمَنْ كان عمره

خمس عشرة سنة، أجدى له أن يرجو النجاح في الدراسة، مِنْ أن يحلم بأن يصير من الفائزين الأبطال!

أما التَّجَاوُزُ المزعوم للذات، فهو بالطبع من باب الاستعارة، ولكنها استعارة بغير معنى: فَلَكَ أن تجري بأقصى ما تستطيع من السرعة، ولكنك بكل تأكيد، لَنْ تَتَجَاوَزَ ذَاتَكَ أبداً! هل ستجري غداً أسرعَ ممَّا جريتَ بالأمس؟ قد يصيرُ ذلك. ولكن ذلك لن يدوم: فسوف تجري بعد عشر سنوات بسرعةٍ أقل ممَّا تجري الآن. فأنَّ تَعَمَلَ بلا توقُّفٍ على تَجَاوُزِ ذَاتِكَ، والانتصارِ عليهما، وتحميلها فوق طاقتها، فذلك عَمَلٌ لا جدوى منه، مألَّه الفشل الذي ما بعده فشلٌ. إجمالاً، أنت تُصِيبُ حين تُمَيِّزُ بكل وضوحٍ، بين رياضةٍ تُعَاشُ على حالٍ من الحرِيَّةِ و السلام و التفتُّح - أي رياضةٍ هَوَاةٍ ، بل ورياضةٍ ترفيهِه أيضاً - وبين رياضةٍ تُعَاشُ في الإكراه، وتقديس حُسْنِ الأداء والأرقام القياسية، وفي تَرْجِي الفوز، والخوف من الفشل. وقطعاً ليست هذه بالتي تَعْدِلُ تلك! وإذا ما كنتَ أَتَحَقَّقُ على الرياضات التي تقوم على المنافسة، ولاسيما ذات الطابع الاحترافي، فإني لا أجد بالطبع ما يمنعني من قَبول رياضةٍ الترفيهِه والوقاية الصحيَّة، التي تحافظ على "العقل السليم في الجسم السليم"، إذا شئنا استعادة العبارة المأثورة.

فلا تستنتج من ذلك أنني أعترض على كل المنافسات! إذ أنني لا أملك أن أرفض التنافسَ، إذا كان بلا إفراط. فإذا ما لعبتُ كرة الطاولة مع أصدقائي، فإني أقبلُ عن طيبِ خاطرٍ بأن أهزَمَ، مع أنني أفصِّلُ الانتصار، ولكني لا أودُّ أبداً أن أَلْعَبَ مع مَنْ كان الفوز لا يعني له شيئاً! فالجنون بالانتصار عندَ خصمي أو عندي، أمرٌ أكثرُ تسليةً! فما فائدة اللعب، إذا



لم يكن من أجل الفوز؟ وهل يكون لمجرد تضييع الوقت؟ أما إذا كان هكذا، فمن الأجدى مطالعة كتاب، أو مشاهدة فيلم!

إنها مسألة تتعلق بتفاوتٍ في الدرجات. إذ لا يضايقي التنافس، بل تضايقي الأهمية المُفرطة التي تُولمها له طائفة من الناس. ستظل الرياضة في نظري وسيلة ترفيه، حتى وإن كنا نخطئ دائماً في أخذها بمأخذٍ جدٍ مبالغ فيه. فميدالية ذهبية أو كأس عالمية، أو صفقة رابحة أو شهرة، هي دائماً حُدُغٌ متواترة، ولكنها في الرياضة أكثر تواتراً ممّا في غيرها من المجالات. فمن يكون صاحب الرقم القياسي سنة 1900؟ أم سنة 1950؟ أم من هو صاحبه سنة 1980؟ فمن يكثر لذلك؟ فإن قضاء المرء خمس عشرة أو عشرين سنة من شبابه، جرياً وراء أملٍ في بلوغ رقم قياسي، سرعان ما يتعداه رقم قياسي جديد يحصل عليه غيره، ليصير الرقم القياسي السابق من الماضي المنسي، لأمرٍ أراه يُقدّم تأويلاً خاطئاً عن الوجود البشري عامّةً، وعن الرياضة خاصّةً.

إنّما ينبغي للرياضة طبعاً، أن تُوصِلَ (مَنْ يحبّون) ممارستها إلى التفتح، بدلاً من أن تكون مطيّةً لتحطيم الأرقام القياسية أو تحطيم الخصوم الآخرين. كما ينبغي أن تجعل ممارستها قادراً على أن "يصير ما هو عليه" (على حد تعبير نيتشه وهو يستشهد بـPindare)، عوضاً من أن تُخضّه على المحاولة الدائمة لتجاوز ما كان عليه. فضلاً عن ذلك، فهذا "التجاوز" المزعوم يُلخّصه مونتيني Montaigne، بعيداً عن التفكير في الرياضة، وخِلافاً هذه المرة لما كان يراه الرواقيون، من خلال العبارة التالية:

"ما أخطر الإنسان وما أخطه - يقول سينيكا Sénèque- إذا لم يَسْمَعْ على بَشَرِيَّتِهِ! تلك كلمة جميلة، وأملٌ مفيد، ولكنهما في الآن نفسه بلا معنى. فأنْ تُحاولَ الإمساكَ بشيءٍ لا تَتَّسِعُ له قبضتُك، أو أن تَضُمَّ إلى صدرك شيئاً أكبرَ من مدى ذراعيك، أو أن تَتَخَطَّى شيئاً أطولَ ممَّا تسمحُ به حَظوتُك، فذاك أمرٌ من المحال، ومن قبيلِ المَسْخ. إذْ من المحالِ كذلك أن يتجاوز الإنسان ذاته وبَشَرِيَّتَهُ: لأنَّه لا يستطيع أن ينظر إلا بعينيه ولا يستطيع أن يمسك الأشياء إلا بيديه." (Michel de Montaigne, "essais, II, 12, p. 604 de l'édition Villey-Saulnier, Paris, PUF, 1965)

لا يتعلق الأمر بتجاوز الذات، بقدر ما يتعلق بـ "حُسنِ تكوينِ الإنسان، وَفَقاً لما تُوجِبُهُ القواعدُ المناسبةُ"، على حدِّ تعبيرِ مونتيني (Montaigne). فقد تُعينُ الرياضةُ أحياناً على هذا التكوين، ولكن ليس بإمكانها أن تقوم مقامه.

الرياضةُ تعكسُ صورةَ المجتمع، والمجتمعُ يُلقي بصورته في الرياضة. ففكرةُ التنافسِ التي دار عليها حديثنا، أو هذا البحثُ الأدبيُّ عن حُسنِ الأداء، هي من العناصر التي تسيطرُ على مجتمعاتنا المعاصرة.

هذا أمرٌ لا مناصَ منه، بل هو أمرٌ شرعيٌّ، ولكنه إشكاليٌّ. إننا نعيش في مجتمع ديمقراطي، تسود فيه قيمُ المساواة وحقوق الإنسان. لا أعارض بالطبع هذه القيم، بل إنِّي من المساندين لها بشكلٍ مطلقٍ! ولكي أتساءل عن علاقتها بالرياضة. سَمَتان من بين سماتٍ أخرى، تُميزان مجتمعتنا: حقوق الإنسان من جهة، والرياضة التي تحظى بتغطية إعلامية مكثفة من جهة ثانية. والحالُ أنَّ قيمنا الديمقراطية تتأسس على فكرة قوامها أن كلَّ البشر متساوون، بيد أنَّ رياضة المنافسة تقوم، بخلاف ذلك، على

أساس ما يوجد بين البشر من تَفَاوُت. بل هذا هو المبدأ الذي تقوم عليه رياضة المنافسة، فلو كان جميع الناس يَعدون بالسرعة نفسها، لكان تنظيمُ سباقٍ للعدو من غير أي جدوى! ها هنا أمر حَرِيٌّ بالاهتمام. فهل نحن بِصَدَدٍ تناقض منطقيّ؟ كلاّ، فليس الأمرُ كذلك، لأنّ المساواة التي نتحدث عنها ليست في الحالتين بمعنى واحد. فالمساواة التي تتأسس عليها حقوق الإنسان، هي مساواة في الحقوق والكرامة. أمّا التفاوت الذي تفترضه المنافسة الرياضيّة، فهو تفاوتٌ من حيث الواقع و من حيث القيمة. يمكن إذن أن نعتبر الحالتين معا دون السقوط في أي تناقض. فمن ناحيةٍ توجد القيم الديمقراطية، أي قيم حقوق الإنسان: حيث يتساوى جميع البشر في الحقوق والكرامة، ومن ناحيةٍ ثانية توجد الرياضة والمنافسة (وتوجد أيضاً الفضيلة والجمال)، حيث يتفاوت البشر في الواقع وفي القيمة. ليس لنا من بُدٍ سوى أن نُمسك السلسلةَ من طرفيها، من غير أن يَلْتَبَسَ علينا هذا بذلك.

لقد صارت مدارسنا في الغالب، تتخلّى عن إجراء الترتيب بين التلاميذ، بل أحيانا تتخلّى أيضاً عن النُقْط. فذلك حسب ما فسّره لي بعض الزملاء، راجعٌ لكون الترتيب والنقط من شأنهما التمييزُ بين التلاميذ، مع ما يترتب عن ذلك من تحقيرٍ لضعافهم، وما قد يسود بسببهما من جَوٍّ غير مناسبٍ من التّديّة والمغالبة والتنافس، ولاسيما بين الأقوياء منهم. والخلاصةُ أنّنا نتخلّى عن التّديّة والتنافس في المدرسة، مع أنّهما يُعدّان جزءاً من المجتمع - كما سبق أن ذكّرت بذلك - بل و جزءاً من الطبيعة أيضاً! وإتّما التّديّة والتنافس والمنازلة والعلاقة القائمة على الصراع، والتفاوت من حيث الواقع ومن حيث القيمة، هي كلّها من صُلْبِ الحياة. وعن هذا، لم يكن نيتشه مُجانِباً للصواب. لذلك فإنّ أطفالنا

المساكين وقد حَرَمْنَاهم النَّديَّةَ والتنافس في مَدارسهم، لا يجدون النَّديَّةَ أو التنافس اللذين ما يَنْفَكُون متشبهين بهما، إلَّا في مجال الرياضة. وحتى إن كانت المدارس تخلو من الترتيب، فإن كثيراً من الفتيان بإمكانهم أن يستظهروا أمامك ترتيب فرق العصابة الأولى لكرة القدم، وترتيب أحسن الهدافين، بل و أيضاً ترتيب أجور أشهر اللاعبين في العالم! فكلما طرَدت الطَّبَع من الباب، عاد إليك من الشُّبَّاك! أخشى أن يتعلق الأمر بنوع من التضافر أو التعويض المتبادل بين طرفين، أحدهما أسلوبٌ أشبهُ بـ «بوداعة البُلْه»، وهو الأسلوب الذي تنهجه بيداغوجياتنا، التي تُصِرُّ على المساواة إصراراً يجعلها مُصَبِّمَةً على حذف كلِّ تنافسٍ وكلِّ نِدِيَّةٍ وكلِّ ترتيبٍ، بل وحتى كل تنقيط، والثاني هو التقدير المُفْرِط لرياضات المنافسة، التي تزايدت أهميتها حتى غَدَّتْ من المجالاتِ القلائِلِ حيثُ يُسَمَحُ بالاعتقاد أنَّ البشر لا يتساوون من حيث الواقع، ومن حيث القيمة! في المدرسة نجد الوديعين البُلْهَ أصحابَ المساواة. أمَّا في الرياضة فنجد هوسَ الترتيب والتصنيفات الهرميَّة، والأرقام القياسية، حتَّى المتعلق منها بالأجور!

إنَّما أُخْطِئُ حين أتحدث عن الوديعين البُلْه في المدرسة، لأن الأمر يتعلق في مُعظم الأحيانِ بأجلافٍ جَهْلَةٍ يُعَامِلُونَ تلامذتهم النجباء كما يُعَامِلُونَ مُهَرِّجِينَ تافهين! الأولى أن يَنْقُصَ إعجابنا بالفائزين الأبطال قليلاً، ويزيد إعجابنا قليلاً بالأساتذة المدرسين (الذين يؤدون إحدى أصعب المهين)، وبالتلامذة الأوائل.

لا بدَّ إذن من الثُّبَاتِ على الصعيدَيْن معاً: على صعيد المساواة في الحقوق والكرامة (الأخلاق الديمقراطية)، وعلى صعيد التفاوت

واقعاً وقيمةً (التفاوت الذي يُسَوِّغُ التنافس في الرياضة طبعاً، ولكن في غيرها أيضاً) ...

تماماً! فكلّ البشر متساوون في الحقوق والكرامة، لذلك يستحقون جميعهم الاحترام نفسه. غير أنهم يتفاوتون واقعاً وقيمةً؛ فلذلك لا يستحقون كلهم التقدير نفسه، أو بالأحرى لا يستحقون القدر نفسه من الإعجاب. إنّما تُستعمل كلمة "الاحترام" في غالب الأحيان بمعنى خاطئ في الرياضة. فما من رائد فريق لكرة القدم، إلاّ سيقول وهو يتحدث عن الفريق الخصم الذي سيواجهه فريقه: "أحترم كثيراً الفريق الخصم." وهو يعني ضمناً: "الفريقُ الخصمُ فريقٌ جيد، بإمكانه أن يهزِمَنَا. فهذا أمرٌ ندركه، لذلك علينا أن نتوّخى الحيطة." ولكن المسألة لا تكمن هنا! فمهما كان الفريقُ الخصمُ بالغا من الضعف، ومهما كان صاحبنا لاعب كرة القدم متيقناً من انتصار فريقه، فمن الواجب عليه أن يحترم أولئك الخصوم! قد نُقدّر أو نُعجّب بالفريق الجيدة، غير أنّ كلّ إنسان له علينا حقُّ الاحترام، وإن كان مع ذلك عاجزاً عن إصابة أي هدف.

ما التقدير؟ وما الشعور بقيمة الغير؟ ماذا يعني الاحترام؟ وماذا يعني الشعور بالكرامة؟ فلمّا أن كان جميع البشر متساوين في الحقوق والكرامة، استحقوا جميعهم الاحترام نفسه. بيد أنّ ذلك لا يعني أنهم جميعاً يستحقون التقدير نفسه أو الإعجاب نفسه! لِتَتَوَقَّفْ إذن عن الخلط بين موقف الاحترام الذي تستوجهه كرامة الغير (فإذا كان الناس جميعاً يتساوون من حيث الكرامة، فلا بد أن يكون الاحترام الذي يستحقونه متساوياً بينهم)، وبين مواقف التقدير والإعجاب، أو الاحتقار، التي لا تتعلق بالكرامة بل بالقيمة.

ومادام البشر يتفاوتون من حيث القيمة (القيمة الرياضية مثلاً)، فمن الجائز تماماً أن نحب كرة القدم، أو أن يزيد إعجابنا بزين الدين زيدان عن إعجابنا بلاعب في فريق من الدرجة الثالثة. أما إن زاد احترامنا له عن احترامنا لغيره، فلا يجوز. وإن هذا لمن الأهمية بمكان! فلو أننا أسقطنا التفاوت واقعاً وقيمةً، لكننا نفترى على أطفالنا كذباً. ولو شئنا أن نحملهم على إنكار كل تسابق، وكل تنافس، وأن نجعلهم يعتقدون بأن الأشياء كلها بالقيمة نفسها، لكننا نفترى عليهم كذباً، وكان ذلك خليقاً بأن يُخمد جِدْوَةَ حماسهم، ولأدنى بهم هذا الاتجاه إلى العدمية. فلو كانت للأشياء كلها القيمة نفسها، لما كان لشيء قيمة! فماذا عسى أن يَنفَع الصِّراع؟ بل ماذا عسى أن تُفيد ممارسة الرياضة؟ ولكن إذا أسقطنا المساواة من حيث الحقوق والكرامة، فإن ذلك يَهوي بنا إلى الهمجية، رياضيةً كانت أم إعلامية!

يتفاوت البشر واقعاً وقيمةً، إذ هم يتفاوتون من حيث القدرات البدنية: فمنهم من يعدون أسرع من سواهم، أو هم على تحمّل الجزي الطويل أقدر، ومنهم من يملكون موهبةً في لعب كرة القدم أو التنس، لا يملكها غيرهم، إلخ... وهم يتفاوتون من حيث القدرات الفكرية: فبعضهم أذكى من بعض. وهم كذلك من حيث جمال الخلق: فبعضهم أكثر جمالاً من بعض. وهم يتفاوتون خاصةً من حيث أخلاقهم: فبعضهم أكرم من بعض، أو أعدل أو أشجع أو أشدّ محبة. هل ينبغي كَي نكون ديموقراطيين، أن نُعيد هتلر بتشرشل من حيث الواقع والقيمة؟ لو فعلنا، لكان ذلك من المفارقات الفريدة! إنّي مقتنع بخلاف ذلك: إذ من البدهة أن يكون تشرشل متفوقاً على هتلر من حيث الواقع والقيمة، لأنّ تشرشل يؤمن بمساواة البشر في الحقوق والكرامة، أما هتلر فلا يؤمن

بذلك. فالفكرة الواضحة المتعلقة بالمساواة بين جميع البشر في الحقوق والكرامة، لا تُلغى كونهم متفاوتين واقعاً وقيماً، بل إنها تُؤكِّد هذا التفاوت: فَمَنْ كان يحترم مساواة جميع الناس في الحقوق والكرامة، مُتَفَوِّقٌ أخلاقياً من حيث الواقع و من حيث القيمة، على من يرفض هذه المساواة أو ينتهكها!

فإذا أنكرنا التفاوت واقعاً وقيماً، سقطنا في أوهامٍ ملائكية لا صلة لها بالواقع، وافترينا على أطفالنا كذباً، وأخمدنا حماسهم، وكُنَّا نَحْطِبُ في حَبْلِ العَدَمِيَّة. ولكن لو أنكرنا المساواة في الحقوق والكرامة، لخدعنا أطفالنا أيضاً، ولأخمدنا حماسهم أيضاً، وإنْ يَكُنْ لأسباب مختلفة، ولكُنَّا في هذه المرة أيضاً نحطب في حَبْلِ العدمية، لأننا بإنكار المساواة في الحقوق والكرامة، نهدم القواعد التي تقوم عليها أخلاقنا الإنسانيَّة و الكؤوبية، أي نهدم حقوق الإنسان! قد تكون الرياضة فرصةً سانحةً لنشر الرسالة التالية: احترموا خصوصكم كما تحترمون رفاقكم، فإنهم بشرٌ يستحقون جميعاً الاحترام نفسه، وإنْ يكونوا أقلَّ موهبةً في الرياضة. وُلَيْكُنْ إعجابكم بأعظم الأبطال، أقوى من إعجابكم بالأصدقاء الأصغرياء الذين تشاركونهم اللعب أيام الأحاد. فهذه حالٌ لا يتعلق الأمر فيها قطعاً بالاحترام، بل يتعلق بالتقدير والإعجاب فحسب، ويتعلق أحياناً بالتباهي (أي بتقدير الذات)، لا بل قد لا يعدو أن يتعلق بالكبرياء أو الإحساس بشرف النفس لا غير...

أنت تَعَلِّمُ العبارة الجميلة للفيلسوف ألان (Alain): "الشرف، هذه البندقية المعبأة..." فحين يتحدث فتیان الضواحي عن الاحترام، فإنما يتطلَّبون بذلك في معظم الأحيان، أن يُحترَمَ شرفهم لا كرامتهم. فعلى

أغتاب مدارسنا الإعدادية، قد تؤدّي مُجَرَّدُ نَظَرَةٍ تَبْدُو كَأَنَّهَا تَمَسُّ بِشَرَفِ الأخر، إلى اِقْتِرَافِ جَرِيْمَةِ قَتْلِ! لَمْ يَكُنِ الاحْتِرَامُ أَبَدًا سَبَبًا لِلْقَتْلِ، أَمَّا الشرف فمِنَ الممكِنِ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا فِي ذَلِكَ ( مِثَالُ ذَلِكَ مَا تَلَحَّظُهُ مِنْ جَرَائِمٍ يُدَّعَى أَنَّهَا "جَرَائِمُ شَرَفٍ"، تَكُونُ النِّسَاءُ أحيانًا مِنْ ضَحَايَاهَا). فَلَذَلِكَ، مِنْ الضَّرُورَةِ القِصْوَى أَلَّا يَتِمَّ الخَلْطُ بَيْنَ مَا لَهُ صَلَةٌ بِالاحْتِرَامِ (أَيِ اعْتِبَارِ مَا لِلأخَرِ مِنْ كِرَامَةِ تَتَسَاوَى مَعَ كِرَامَتِنَا)، وَبَيْنَ مَا لَهُ صَلَةٌ بِالكِبْرِيَاءِ أَوْ بِالشَّرَفِ (وَهُمَا أَقْرَبُ مِنْ أَنْ يَكُونَا مِنَ المَسَاوِي، مِنْ أَنْ يَكُونَا مِنَ المِحَاسِنِ)، وَبَيْنَ مَا لَهُ صَلَةٌ بِالتَّنَافُسِ المَشْرُوعِ، أَيِ بِتَفَاوُتِ البَشَرِ وَاقْعًا وَقِيْمَةً، حَيْثُ إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يُثِيرُونَ الإِعْجَابَ، فِي هَذَا المِجَالِ أَوْ ذَاكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْصُرُونَ عَنِ ذَلِكَ، دُونَ أَنْ يَمْنَعُ ذَلِكَ مِنْ أَنْ يَكُونُوا كَلِّهِمْ سِوَاسِيَّةً فِي الحَقُوقِ وَالكِرَامَةِ.

أَحْلُمُ بِرِيَاضِيَّةٍ تَكُونُ بِمِثَابَةِ دَرَسِ لِأَبْنَانِنَا يُدَكِّرُهُمْ بِأَنَّ جَمِيعَ البَشَرِ مِتَسَاوُونَ فِي الحَقُوقِ وَالكِرَامَةِ، وَبُسْعُهُمْ فِي فَهْمِ التَّفَاوُتِ بَيْنَ البَشَرِ وَاقْعًا وَقِيْمَةً، وَأَنَّ لَيْسَ بِالإِمكَانَ التَّنَازُلُ عَنِ هَذِهِ المِساوَاةِ الَّتِي تَقُومُ أَسَاسًا لِحَقُوقِ الإِنْسَانِ. وَلَا عَنِ هَذَا التَّفَاوُتِ الَّتِي يُعَدُّ جِزَاءً مِنَ الوَاقِعِ وَالحَيَاةِ. وَإِلَيْكَ مَا تَسْتَطِيعُ الرِيَاضِيَّةُ أَنْ تُعِينِنَا عَلَى فَهْمِهِ: إِنَّ الاحْتِرَامَ (الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ الجَمِيعُ)، وَالإِعْجَابَ (الَّذِي مِنْ طَبِيعَتِهِ أَنْ يَكُونَ مَحَلًّا لِلتَّفَاوُتِ). مِنْ المِمكِنِ، بَلْ مِنَ الوَاجِبِ أَنْ يَتَرَفَّقَا عَلَى قَدَمِ المِساوَاةِ، مَعَ العَدَالَةِ (الَّتِي تُسَلِّمُ بِكُونَ جَمِيعِ النَّاسِ يَمْتَلِكُونَ الحَقُوقَ ذَاتَهَا)، وَمَعَ التَّنَافُسِ (الَّذِي يَفْتَرِضُ أَنَّهُمْ لَا يَمْتَلِكُونَ القُوَّةَ نَفْسَهَا وَلَا المُوَهَّبَةَ ذَاتَهَا)!

رَبِمَا يَكُونُ بِمَقْدُورِ الرِيَاضِيَّةِ أَنْ تُسَهِّمَ فِي المُنْصَالِحَةِ بَيْنَ المِثَالِ الدِيمِقْرَاطِيِّ، مِثَالِ المِساوَاةِ، وَبَيْنَ مِثَالِ "أَرِسْتِقْرَاطِيٍّ" مُعَيَّنٍ؟



لقد أصبت في التذكير بما يوجد من فرق بين الأخلاق الديمقراطية - أخلاق حقوق الإنسان (" يولدُ جميع الناس وَيَظَلُّونَ أحراراً ومتساوين في الحقوق والكرامة")، التي جاءتنا من القرن الثامن عشر، من عصر الأنوار، والثورة الفرنسية - وبين أخلاق قدماء اليونان والرومان، التي تنتسبُ إلى ما يمكن دعوته أخلاقاً أرستقراطية. فلقد كان من البديهي، أن يعتقد أفلاطون أو أرسطوطاليس أو أبيقور أن الناس ليسوا متساوين كافة. وكان من الواجب أيضاً، أن يحرص المرء حينذاك على أن يكون من المْتَمَرِّين، أي أرستقراطياً، بما لهذه الكلمة من معنىٍ حرفيٍّ وأصليٍّ. والمقصود بذلك طبعاً أرستقراطية الفكر، لا أرستقراطية الوراثية، أرستقراطية صلتهما بما هو مكتسب أو ثق منها بما هو فِطْرِيٍّ، ولكنها أرستقراطية في كل الأحوال! هي بالأحرى نُخبَوِيَّة فلسفية. فإذا لم يكن الحكيم متفوقاً على سائر الناس، فما عسى أن يفيد التفلسفُ إذن؟

وإذ تُعيدُ الرياضةُ للأخلاق الأرستقراطية مكانتها في فضائنا الديمقراطي، فإنها تفعلُ ذلك على نحوٍ غريبٍ (غير أنه مشروعٌ، وقد يكون هذا جانباً من وجهها المُشرق، وعنصراً من بُعدها البيداغوجي والإنساني، ورُبَّما من بُعدها المُحرِّر أيضاً). فمتى نُصِدِرُ العبارة: " فليُفِزْ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ!"، وهي العبارة التي تُعدُّ من صميم الروح الرياضية، نُسَلِّمُ بأن الناس ليسوا مُتساوين كافةً ( ما دام بعضهم أفضل من بعضٍ)، ونسَلِّمُ أن التنافسَ بينهم يجدُ ما يُعَلِّله: لما يكونُ مُنوطاً باكتشاف المتفوقين، بهذا المعيار أو بذلك، أو بتعبيرٍ آخر، لما يكون هذا التنافس مُنوطاً بقرزِ أرستقراطية أو نُخبة رياضية. إنَّها روحُ الرياضة القائمة على المنافسة، التي يَعْمُ طيفُها حتى الهواة. وهي روحٌ متى لَزِمَتْ حَدّاً مقبولاً، صارتُ عندي، سبباً للحيوِيَّة والعافية: فأُن تكون المواجهةُ في ملعب كرة القدم،

بِكُرّةٍ تتقاذفها الأقدام، خيّر من أن تتمّ هذه المواجهة بما تحمله الأيدي من أسلحة، في ساحة قتالٍ أو في حيٍّ من أحياء الضواحي!

في كتابٍ من أجمل ما أَلَّفَ فرنسيس وولف Francis Wolff حول مصارعة الثيران، (وهو كتاب Philosophie de la corrida، وفيه من الروعة والتشويق، حتى بالنسبة إلى أمثالي ممّن لا يجدون أي متعة في مصارعة الثيران.) جاء فيما كتبه عن أخلاق هذا الفنّ من المصارعة، أنها بمثابة "أخلاق أرستقراطية للجميع". إنّما أرى أنّ ذلك ينطبق على الرياضة عامّةً، كما أنّ ذلك يكشف جزءاً من سرّ نجاحها. فنحن أمام مسألة تتعلق بأخلاق أرستقراطية ( إذ يتعلق الأمر بأن نكون من المتفوقين، أو من المُعجَبين بهم)، ولكنها أخلاق للجميع، بما يعني إذن أنّ لها صلةً بالفضاء الديمقراطي! وذلك لأن الرياضة ليست حقاً تستأثر به نخبة من الناس عن طريق النّسب أو الحسب أو الثروة. فلذلك أجد أنّ إرساء أخلاقٍ أرستقراطيّةٍ (قائمةٍ على أساس التفاوت الكائن بين الناس واقعاً وقيمةً)، في فضاء ديمقراطيّ (قائمٍ على أساس المساواة في الحقوق و الكرامة)، أمرٌ ضروريٌّ ومشروعٌ.

ولا يَصْدُقُ هذا على الرياضة وحدها، بل يصدق أيضاً على ميدان الفنّ: فمن الفنانين من هم أفضلٌ من غيرهم، ومهم من عندهم من الموهبة ما يفوق ما عند سواهم، وبعضهم له من الفخامة ما لا يُبْلَغُهُ الآخرون. فمَنْ مِتًا يجرؤُ على الادعاء أنه يضاهاى باخ (Bach) أو بيتهوفن، في فن الموسيقى؟ بل إنّ ذلك يصدق أيضاً من منظور الأخلاق: ففي الناس أنذال وطيبون. إذ من البدهاة أن يكون هؤلاء الطيبون أفضل من أولئك الأنذال. ومن البدهاة، أن يكون كافيس (Cavaillès) أفضل من كلوس

باربي (Barbie Klaus)، وأن يكون إيتي هيلسوم (Etty Hillesum) أفضل من أيخمان (Eichmann)، فَمَنْ يُخَامِرُهُ الشُّكُّ فِي ذَلِكَ؟

ما كان للرياضة إذن أن تكون وحدها المجال الذي قد تجد فيه هذه الأخلاق الأرستقراطية تعبيرها. إنّما المكانة المرموقة التي صارت الرياضة تحتلها في أذهان من يُعاصِرُونَا، وفي وسائل الإعلام، قد يكون بمقدورها أن تُسَعَفَ فِي أَنْ يَفْهَمَ مَوَاتِنُونَا أَنَّهُمْ لَيْسُوا مُجْبَرِينَ عَلَى اخْتِيَارِ إِمَّا الْأَخْلَاقِ الْمُسَاوَاتِيَّةِ لِحَقُوقِ الْإِنْسَانِ، وَإِمَّا الْأَخْلَاقِ الْأَرِستِقْرَاطِيَّةِ، أَخْلَاقِ الْمَرْوَةِ أَوْ كَمَا كَانَ يَقُولُ الْإِغْرِيْقِي، أَخْلَاقِ الْفَخَامَةِ (arète). كِلَا الْاِخْتِيَارَيْنِ جَائِزَانِ، غَيْرَ أَنَّ مِنَ الْخَطِئِ خَلَطُ أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِ، أَوْ إِهْمَالُ أَحَدِهِمَا دُونَ الْآخَرِ.

إذن فلا ينبغي أن نخلط بينهما، ولا أن نَبْتِزَ الْمِثَالَ "الأرستقراطي" من جسم المثل الديمقراطي. فإذا خَلَطْنَا بَيْنَهُمَا أَوْ بَتَرْنَا الْأَوَّلَ مِنَ الثَّانِي، فَقَدْ نَتَعَرَّضُ لَلتَّسْوِيَةِ قَدْ تَكُونُ مَهْلِكَةً لِلدِيمُقْرَاطِيَّةِ. وَلِنَتَذَكَّرُ تَحْلِيلَاتِ طوكفيل (Tocqueville)...

كان طوكفيل يَخْشَى، وَخَشِيَّتُهُ كَانَتْ فِي مَحَلِّهَا، مِنْ أَنْ تُؤَدِّي "المساواة في الأوضاع" [القانونية والاجتماعية]، إِلَى سَيْطَرَةِ الرَّدَاءِ وَالْفَرْدَانِيَّةِ الْمُنْطَوِيَّةِ عَلَى ذَاتِهَا. فَإِذَا كَانَ كُلُّ شَيْءٍ يَسَاوِي كُلَّ شَيْءٍ، فَمَاذَا عَسَى أَنْ تَنْفَعِ الْمَشَارَكَةَ فِي الشَّأْنِ السِّيَاسِيِّ؟ وَلَوْلَا أَنَّكَ تَعْتَقِدُ أَنَّ الدِيمُقْرَاطِيَّةَ تَعْلُو مِنْزِلَتَهُ، مِنْ هَذِهِ الزَّوَايَةِ عَلَى الْأَقْل، عَلَى الْفَاشِيَّةِ، لَكُنْتَ تَحْطِبُ فِي حَبْلِ مَنْ يَعْتَنِقُونَ الْفَاشِيَّةَ. فَكُونْنَا دِيمُقْرَاطِيَّيْنَ وَمَتَشَبِهِيْنَ بِمَسَاوَاةِ الْبَشَرِ جَمِيعاً فِي الْحَقُوقِ وَالْكَرَامَةِ، هُوَ بِالذَّاتِ مَا يُوجِبُ عَلَيْنَا التَّذَكِيرَ بِأَنَّهُمْ يَتَفَاوَتُونَ وَاقْعاً وَقِيَمَةً.

وَلِنَحْتَدَّرَ مِنْ أَنْ تَلْتَبِسَ عَلَيْنَا الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ بِالْعَدَمِيَّةِ! فَإِذَا مَا التَّبَسَّتْ عَلَيْنَا الْمَسَاوَاةُ فِي الْحَقُوقِ وَالْكَرَامَةِ، بِمَسَاوَاةٍ مُتَوَهِّمَةٍ مِنْ حَيْثُ الْوَاقِعِ وَالْقِيَمَةِ، تَحَوَّلْنَا دُونَ أَنْ نَدْرِي مِنَ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ إِلَى الْعَدَمِيَّةِ، وَمِنْ أَنَّ "جَمِيعَ الْبَشَرِ لَهُمُ الْحَقُوقُ نَفْسُهَا"، إِلَى أَنَّ "الْبَشَرَ جَمْعٌ وَاحِدٌ لَا مُفْرَدَ فِيهِ". غَيْرَ أَنِّي مُصِرٌّ عَلَى أَنَّ لَأَشْيَاءَ يَكُونُ لَهُ قِيَمَةٌ، إِذَا مَا كَانَتْ كُلُّ الْأَشْيَاءِ لَهَا الْقِيَمَةُ ذَاتُهَا. إِذْ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، لَمَا وَجَدْنَا مَا نُوَاخِذُ بِهِ أَوْلَثِكَ الَّذِينَ يَرْفُضُونَ الدِّيمُقْرَاطِيَّةَ. فَإِذَا كَانَ التَّازِيُّ يَتَسَاوَى قِيَمَةً مَعَ الْمُقَاوِمِ، وَكَانَ الْإِضْطِهَادُ يَسْتَوِي مَعَ الْحَرِيَّةِ، فَمَاذَا عَسَى أَنْ تَنْفَعِ الْمَقَاوِمَةُ؟

## قِيمُ الرِّيَاضَةِ

قَدْ يُؤَدِّي التَّفَاوُثُ "مَنْ حَيْثُ الْقُدْرَاتُ الْفِطْرِيَّةُ"، إِلَى إِرَادَةِ الْاِسْتِعَاذَةِ عَنْ هَذَا التَّفَاوُثِ بِاسْتِعْمَالِ أَمْزِجَةٍ مُسَاعِدَةٍ، أَوْ مَوَادِّ "مُنَشِّطَةٍ". فَيَكُونُ تَعَاطِي الْمُنَشِّطَاتِ إِذْنٌ وَسِيلَةٌ لَسَدِّ النِّقْصِ الْفِطْرِيِّ. أَلَا نَلَاظُ هُنَا أَثْرًا مُضَادًّا لِلْمِثَالِ الْأَرِسْتَقْرَاطِيِّ، أَوْ لِشِعَارِ "لِيْفِزْ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ"؟

لَيْسَ ذَلِكَ بِالْأَثَرِ الْمُضَادِّ لِلْمِثَالِ الْأَرِسْتَقْرَاطِيِّ، بَلْ هُوَ انْحِرَافٌ عَنِ هَذَا الْمِثَالِ! فَمَنْ تَعَاطَى الْمُنَشِّطَاتِ لَيْسَ بِأَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ: إِنَّمَا فِي مُتَنَاوَلِهِ فَقَطْ أَجُودُ الْعَقَاقِيرِ، بَلْ أَنْجَعُهَا فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ. وَحَتَّى إِنْ كَسَبَ مَا لَأَ وَفِيْرًا، وَسَرِقَ لَقَبًا، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَتِمُّ لَهُ لِأَنَّهُ أَقْوَى أَوْ أَكْثَرُ مَوْهَبَةً، بَلْ لِأَنَّهُ تَنَاوَلَ أَفْضَلَ "الدَّوَاءِ"، إِذَا جَازَ هَذَا التَّعْبِيرَ، أَوْ تَعَاطَى أَنْجَعَ الْمُنَشِّطَاتِ. وَلَيْسَ هَذَا إِلَّا نَقِيضٌ مَا تَقُومُ عَلَيْهِ الْأَرِسْتَقْرَاطِيَّةُ: لِأَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا غِشًّا مَمْقُوتًا، لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِالْأَخْلَاقِ الْأَرِسْتَقْرَاطِيَّةِ ("لِيْفِزْ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ")، غَيْرَ أَنَّ لَهُ عِلَاقَةً وَثِيْقَةً بِالرِّهَانَاتِ الْمَالِيَّةِ وَالْإِعْلَامِيَّةِ (الْفُوزُ مَهْمَا كَانَ الثَّمَنُ).

لَمَّا نَقَيْسَ حَجْمَ الْأَمْوَالِ وَالْأَمْجَادِ الَّتِي تَتَسَاقَطُ عَلَى أَكْتِافِ شَابٍ عِنْدَ فُوزِهِ بِسَبَاقِ فَرَنْسَا لِلدَّرَاجَاتِ، يَكُونُ مِنَ الْوَهْمِ إِنْ اِعْتَقَدْنَا أَنَّ أَخْلَاقَهُ كَافِيَةٌ وَحْدَهَا لِتَحْوُلَ دُونَ لُجُوءِهِ إِلَى تَنَاوُلِ الْمُنَشِّطَاتِ. لَا بَدَ إِذْنٌ مِنَ الْمِرَاقَبَةِ وَالْعَقُوبَاتِ! فَلِلرِّيَاضِيِّينَ أَنْصِبِهِمْ مِنَ الْفَائِدَةِ فِي ذَلِكَ مَا يَحْفَظُ صِحَّتَهُمْ، وَيَحْيِي كَذَلِكَ سُمْعَتَهُمْ! وَأَنَا مَا أَزَالُ طِفْلًا ثَمَّ مِرَاهِقًا، وَلَعْتُ حَقًّا

برياضة ركوب الدراجة وَحَدها ، دون سائر الرياضات. ولكن ذلك الوَلَعُ  
توقف عندما أدركتُ أنّ أبطال تلك الفترة، يتقدّمهم أنكيتيل (Anquetil)،  
كانوا على الأرجح يتعاطون المنشطات.

هل كان ذلك كافياً لِيُخَمِدَ وَلَعَكَ؟

يكاد يكون الأمر كذلك، فقد كنت في قرارة نفسي، أهزأً بمعرفة أكان  
أنكيتيل (Anquetil) أكثر تناوُلًا للمنشطات من بوليدور (Poulidor) أم لم  
يكن! فسباقُ فرنسا للدراجات الذي حرصت على متابعته سنينَ عدداً،  
لم يكن له من أهميّة في نظري إلا إذا فازَ به أفضلُ المتسابقين حقاً. أمّا  
إذا كان الفائزُ أكثرهم تعاطياً للمنشطات، وأحدقهم غشّاً، فلا يعود، في  
الواقع، لذلك السباق أي أهمية!

لا بُدَّ أن يكون البُعدُ "الاجتماعي" لسباق فرنسا للدراجات، قد أثار  
اهتمامك أيضاً. فهذا السباق يُعدُّ من اللّحظات الرّمزيّة القويّة في  
الثقافة الشعبيّة...

كلّاً، فلم أكن حينذاك مهتماً بالظاهرة الاجتماعية، أو بقافلة  
المتسابقين وجمهور المتتبعين: بل كنتُ مهتماً بالمُحَمَّةِ البطولية،  
وبالمعاناة، وتجاوز الذات، كما سبقَ أن ذكّرتُ! وبالبطل الذي يُخاطر  
بنفسه أقصى ما تكون المُخاطرةُ، مثل سِمْسُون Simpson الذي باغته  
الموتُ وهو في عِرِّ السِّبَاق. لا رُبَّ أن موته كان بسبب تعاطيه المنشطات  
التي لم تكن لتحوّل دون أن يفاجئه الموت في صُلْبِ السباق، وهو يقتحمُ  
عَقَبَةَ فونتو Ventoux. أو مثل أنكيتيل أو بوليدور وهما يرتقيان طريقاً بين  
الفجاج، دَرَاجَةً في إثرِ أخرى...

لقد صرْتُ اليوم أدرى بحدود ذلك وأخطاره، أمّا في تلك الفترة من الماضي، فقد كان ذلك يُوجِّعُ حماسي! و مع ذلك لم يكن من المُسَلِّي كثيرًا، الوَلْعُ بركوب الدراجة، يومَ أن كان أنكيتيل يتربّع على قمّة مجده، وقد كان يُديرُ سباقه مثلَ مُحاسِبٍ يُرهِقُ نفسه بالحسابات الصغيرة، مُدْخِرًا بعض العشرات من الثواني، كأنّ قد قضَمَها من سباق الزمن. لقد كان من النادر أن يتحقق الفوز في سباق فرنسا للدراجات، بذلك القدر الضئيل من الأُجْهَة، حسب ما تسعفني به ذاكرتي على الأقل! ثم جاء ميركس Mercks، فعرفتُ حينها حقيقةَ البطل الذي يتسابق بأهبة، دون أن يخشى القيامَ بمخاطرات، والأقربِ إلى أن يتجسد فيه مثاليّ البطل، من أن تنعكس فيه صورةُ المُحاسِب. هل كان ميركس يتناول المنشطات؟ ليس لي على ذلك أي جواب، حتى أنّ مجرد السؤال عن ذلك يُؤسفي، فلطالما أُعْجِبْتُ بهذا البطل بالغ الإعجاب!

بهذه الطريقة أو تلك، يُحَسَبُ البطلُ دائما من "الكائنات الاستثنائية". فما يُوثَرُ بطلٌ، إلاّ كان ذلك على حساب بطلٍ آخر. وقد اخترت ميركس دون أنكيتيل...

لقد أُعْجِبْتُ بالاثنين على التوالي. ولكيّ متى نظرتُ نحو الماضي، وجدتُ في نفسي شيئا من المُواخَذَة على أنكيتيل، ليس لأنه كان يتعاطى المنشطات فحسب، بل أيضاً لأنّ فوزَه لم يكن لا رائعا ولا بُطولياً. فليس بنقدور جميع الناس أن يكونوا أبطالاً. وهذا نعود من جديد إلى الأخلاق الأرستقراطية... فالعبارة الرائجة: "لَيْفُزْ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ!" تُضمِرُ فكرةَ أن الفَوْزَ لن يكون من نصيب جميع الناس، ولكنها تترك في الآن ذاته مُتْسَعاً للإعجاب. وأعيدُ مرّةً أخرى، أنّ من المُؤسِفِ أن نسعى إلى إقناع أطفالنا

بأنَّ كلَّ ما له صلةٌ بالنَّدِيَّةِ والتَّنَافُسِ يستحقُّ الاحتقارَ. إذ يكون من الأجدى نفعاً، لو قامت الرياضة أحياناً بتعديل الكِفَّةِ أمام النزعة المُساوِاتِيَّةِ الديمقراطيَّةِ ادِّعاءً، العَدَمِيَّةِ نَزْعَةً.

ومهما يكن من أمرٍ، فقد شاء حُسْنُ الحِظِّ أن يوجد من المنافسات ما هو أهمُّ من الرياضة، ومن القيم ما هو أسمى من المنافسة! فإنَّ سألتك: " كيف ترى فلاناً؟"، فإنَّك لن تجيبني: "ما أزعجه، فإنه يجري بسرعة فائقة!"، فإننا لا نُبالي أكانَ أصدقاؤنا يجرون بسرعة أم كانوا دون ذلك. ولكن ما يُهمُّنا منهم هو خصالهم المُميِّزة من ذكاءٍ وشجاعة ومودَّة ومَرَحٍ وبصيرة وسخاء... وليست تُؤسِّفني المنافسةُ الرياضيَّةُ من حيثُ هي منافسة، بقدر ما تُؤسِّفني رهاناتها التي تكون تافهةً في كلِّ المرات تقريباً. فإذا ما كنتَ تترقَّبُ أن يولد لك طفلٌ، أكنتَ تودُّ عند ولادته: "لو يكون قادراً على قطع مسافة المائة متر عدواً في أقلِّ من عَشْرِ ثوانٍ!"، أم كنتَ تودُّ: " لو يكون صحيحَ البدن، ذكياً، مُحبباً، شجاعاً، طيِّبَ الأخلاق...". ولهذا ينبغي أن نتجنَّبَ الإفراطَ في الاحتفاء بالرياضة! كما ينبغي أن نتخلَّصَ من هذا النوع من الجنون الرياضيِّ الإعلامِيّ، الذي يصنع من غُلامٍ عُمُرُه عشرون سنة، شخصاً يحظى بالشهرة خلال سنواتٍ، ويجعل منه ثرياً يكسب أموالاً خياليَّةً... المُجَرَّدُ أنه فازَ في مباراة نيس أو في سباقٍ للعدو. ذلك مثال سيءٌ تُقدِّمه لفتياننا المراهقين.

وهذا يصدِّقُ أيضاً على موسيقى الرُّوكِ rock، كما يصدق على أنواع مختلفة من الأنشطة...

هذا صحيح. ولكن مهما يكن من أمرٍ، فإنَّ المُغَنِّيَّينَ مِنْ فرقة البيتلز Beatles أو الرُّولينغ ستونز Rolling Stones، كانوا أكثر نفعاً للإنسانية من



أنكيتيل أو ميركس. فالأغنية تطلُّ نوعاً من الفنِّ، حتى وإن كانت قيمتها الفنيَّة من الدرجة الثانية. أمَّا الرياضة فلا يمكن أن تكون كذلك. وأنا أعلم جيِّداً أن طائفةً من الناس تضع بيلي Pelé أو ماكينرو McEnroe في منزلة أعلى من براسنس Brassens أو بريل Brel، بل حتى أعلى من موزارت أو بيتهوفين. وحسبي أن أقول لهؤلاء إننا لا نتقاسم القِيَمَ نفسَهَا... ومهما يَكُنْ، ففي هذه المرة أيضا لا يتعلق الأمر بإدانة المنافسة أو النَّدية أو هوس الانتصار. نحن في بلدٍ يميل في معظم الأحيان إلى تفضيل الخاسرين. ولقد كان الفرنسيون يُفضّلون بوليدور على أنكيتيل. وكلّما وجدتُ بلداً يُفضّل المُهزَمين على الفائزين، حسبته في وضعٍ لا يدعو إلى الاستبشار. فلننقُص قليلا من اهتمامنا بالرياضة! ولنتوقّف أيضاً عن إدانة و تجريم كلِّ ما له صلةٌ بالنَّدية والمنافسة وهوس الانتصار!

إعترف لي برنار كوشنر Bernard Kouchner في يومٍ من الأيام: "كُنَّا نَسْمَعُ دائما أن الأصدقاء الحقيقيين يُعرفون حين يَلْحَقُنا الفشل. غير أن هذا ليس صحيحاً: إذ هم يُعرفون حين يُحالفُنا النجاح!". وهو مُحقٌّ في هذا الاعتراف. فما من أحدٍ إلّا في وَسْعِهِ أن يتقبَّل فشلك، ولكن قد يكون بين صلاتك أيضاً من يجدُّ المتعة في هذا الفشل. أمّا إذا كان النجاحُ الباهرُ حليقك، فصدِّقني إذ أحتكمُ إلى تجربتي الشخصية، أن الذين يتقبَّلون منك هذا النجاح هم أصدقاؤك الحقيقيون. وقد يكون في وسع الرياضة أن تُسَعِفَ في ردِّ الاعتبار للثديَّة والمنافسة، وفي إنماء ما يمكنُ تسميته بالرغبة السليمة في الفوز. ولئن كان تفضيلُ الفوز على الهزيمة والنجاح على الفشل، أمراً مشروعاً ومُقَوِّباً وصحياً، فذلك لا يمنعنا من احترام الخاسرين. ولكن لا ينبغي أن يقوم هذا الاحترام مقامَ النجاح.

ما قلته قبلَ حينٍ، ينطبق بحذافيره على الحياة الاقتصادية. ولقد كان هذا الجانبُ من المسألة مَوْضِعَ نَظَرِكَ، في كتابك "هل للرأسمالية أخلاقٌ؟".

أنتَ مُحِقٌّ في هذا، ففي الاقتصاد أيضاً، نجد المنافسة والمزاحمة والعلاقات القائمة على ميزان القوة، ولا يتحقَّقُ النجاحُ فيه لجميع الناس! فذلك قانونُ السوق، قانونُ التنافس.

وأنتَ تَعْلَمُ ما قَدَّمْتَهُ من إجابةٍ عن السؤال: "هل للرأسمالية أخلاقٌ؟"، وهي إجابةٌ بالنفي كما سبق إلى علمك. فالرأسمالية ليست خيراً ولا شراً، إذ هي خارج نطاق الأخلاق (amoral). أو بتعبير آخر، ليس ينفرد الصالحُ من الناس بالقدرة على الرِّيحِ دون غيره ولا الغشَّاشُ ينفرد بذلك دون الآخرين، إمَّا القادر على الرِّيحِ هو الذي يُوقِرُ أجودَ المنتجات، ويستعمل أمهرَ البائعين، ويعرض أفضلَ نسبةٍ بين الجودة والثمن، إلخ... أو بعبارة أوجزَ، هو أقواهم على المنافسة. وهذا الرأي قد يصدق أيضاً على الرياضة. فالقادرُ على الفوز في سباق العدو، ليس هو أكثرهم سخاءً، ولا أشدهم ذكاءً، ولا خَيْرُهُم أخلاقاً، إمَّا هو أسرعُهُم عدواً. وفي طيِّ هذا، نكتشف من جديد ما يجعل من الرياضة أمراً خارج نطاق الأخلاق، وفي الآن ذاته أمراً تافهاً، وما يجعل إذن من الاقتصاد أمراً مُماثلاً لذلك أيضاً. إلا أننا من غير الاقتصاد، قد نموت جوعاً. ولكننا نستمر في الحياة من غير الرياضة. فخلِّق الثروة شأنٌ تافهٌ، وفي الآن نفسه شأنٌ ضروري. فهل رئيسٌ مقاولٌ يستحق الإعجابَ؟ ذلك شيء لم يطرق خاطري أبداً. ولكني توقفتُ من أمدٍ بعيد، عن ازدياد رؤساء المقاولات أو إدانتهم جُملةً! وقد أقول عن طيب خاطر، الشيء نفسه عن الرياضيين، إنما ذلك بترتيب

زمنيّ عكسي: فقد توقفت منذ زمن بعيد عن الإعجاب بهم، أو الأخرى قلّما  
أُعجِبْتُ بهم، غير أنّ هذا ليس مَدْعَاةً لآزدرائهم أو إدانتهم!

وسواء أكانت الرياضة ذات جوهرٍ أخلاقيٍّ أم لا أخلاقيٍّ (إذ لا شيء  
يمنع نَدْلًا من أن يكون بطلاً، مثلما أنّ لا شيء يمنع بطلاً من أن يكون  
طَيِّبَ الأخلاق)، فإنها تُصَرِّفُ أحيانا عدداً من القِيَم التي لها صلة  
بالفضيلة والأخلاق: مثل حُبِّ بَدَلِ الجهد (خِلافاً إِذْن للكسل)، والمثابرة  
والتزاهة (رفض الغش)، والتواضع والطموح (إرادة التقدم)، والبيديّة  
والشجاعة، وتقدير الغير (كيفما كان لَوْنُ بَشَرَتِهِ بالتأكيد)، والروح  
الرياضية (*fair-play*)، والعمل الجماعي... ومن هذه الناحية، لن يستوفي  
امتناننا أبداً ما ندينُّ به لآلاف المتطوعين الذين يشرفون على تنظيم  
الأنشطة الرياضية لفائدة أطفالنا، في أوقات فراغهم، والذين يحاولون  
بأجمعهم تقريباً إيصال هذه القيم إليهم!

## كُرَةُ الْقَدَمِ هِيَ أَكْثَرُ الرِّيَاضَاتِ شَعْبِيَّةً لأنها أقلُّ كَمَالاً

لئن كانت الرياضة لا تثير اهتمامك، فإنها مع ذلك تحتل مكانةً لا يُستهان بها في حياتك الخاصة والعامة. فمن ذلك مثلاً، أنك قد قضيت سنواتٍ عديدةً عُضواً في المجلس الإداريِّ لمؤسسة كرة القدم...

إني لَعَمْرِي! لقد صارت هذه المؤسسة تُدعى اليوم "مؤسسة-العمل لكرة القدم". لقد كان يرأسها فيليب سيغان (Philippe Séguin)، واليوم يرأسها باتريك براوزاك (Patrick Brauezec). هذا يفسر بقدرٍ معينٍ عضويتي بهذه المؤسسة: فأما الأولُ فقد كنتُ أكنُّ له التقدير، وأما الثاني فقد نال عطفِي ثم صداقتي. إنَّما يتعلق الأمر بمؤسسة مستقلة، يُقصدُ من ورائها إلى أن تكون الرياضة، مع عِظَم تأثيرها في المجتمع، وسيلةً لتكوين شببتنا، وليس لكسبِ المال وتحقيقِ الفُرجةِ فحسبُ. لقد كان من عادتي القولُ إنِّي أنوبُ في هذه المؤسسة عن "المجتمع المدني": أي عن الذين ليس لهم مِيلٌ إلى كرة القدم! ولقد غادرتها اليوم لأسباب تتصل بتنظيم وقتي، ولكي لا أندمُّ على أنني كنت جزءاً منها سِنينَ عَدَدًا. فقد تعلمت منها أشياء، والتقيتُ فيها بأشخاص رائعين. زيادةً على ذلك، فإنَّ اختياري أن أشارك في هذه المؤسسة، لم يكن بسبب رؤسائها فقط، بل كان أيضاً لسببَيْنِ سَبَقَ أن ذَكَرْتُهُما في بداية هذا الحوار: يتعلق أحدهما بكوني مواطناً من واجبه أن يتبيَّن المكانة البالغة التي تحتلها الرياضة في

مجتمعنا ولاسيما كرة القدم، ويتعلق ثانيهما بكوني أباً لأسرة يوجد في وضع مناسب، يُتيح له أن يحاول تصحيح أنواع من التأثيرات. أمست رياضة كرة القدم، بالنسبة إلى عددٍ من شُبَّاننا، مثل كارثة، أو تسونامي ثقافي جرفَ معه كلُّ شيء، ولاسيما حين فازت فرنسا، من سوء حظها، بكأس العالم في كرة القدم سنة 1998. فقد استنكفوا عن كلِّ ما له صلة بمطالعة الكتب، وصاروا يكتفونَ بمشاهدة مباريات كرة القدم على شاشة التلفاز! ولم يعدوا يسألون كيف يوجهون مصائرهم، لأن شُغلهم الشاغل هو الحلم بأن يصيروا لاعبين محترفين لكرة القدم! لذلك ظَهَرَ لي أن لا مَنَاصَ من التفكير والبحث عمَّا إذا كان بالإمكان العملُ على أن لا يقتصر التأثير الاجتماعي لكرة القدم ولاسيما بين فِتياننا الهواة، على جانبيها السُّلبِيِّ فقط. وهذا بالذات الهدف الذي تَقْصِدُهُ مؤسسة العمل لكرة القدم. ولا زلتُ أحتفظ بذكرى جميلة عن مساهمتي في أشغالها. وليس لي إلا أن أرجو لأعضائها كل التوفيق الجدير بهم.

يُطْرَحُ سؤَالٌ آخَرُ: لماذا صارت كرة القدم، على الأقل من الناحية الإعلامية، تَتَرَبَّعُ على عَرْشِ الرياضات؟

يبدو لي أنها صارت كذلك لأسباب رياضية واهية، ولكنها أسبابٌ وجمية من الناحية الإنسانيَّة. فالمبدأ الذي تقوم عليه الرياضة هو أن يفوز من هو أفضل، وذلك ما يتحقق في غالب الحالات. فعلى سبيل المثال، يتحتمُّ تقريباً أن يكون الفائزُ في سباقِ لألعابِ القوى أو في مباراةٍ لكرة المضرب، هو من يكون الأفضل حقاً، على الأقل في اليوم الذي يُجرى فيه ذلك السباق أو تلك المباراة. أمَّا في كرة القدم، كما في الحياة، فلا تسير الأمور دائماً على هذا النَّسَقِ! فللنَّجَاحِ فيها نصيبٌ، وللحِظِّ حَسَنِهِ

أَوْ سَيِّئِهِ نَصِيبٌ، كما للصدفة والطوارئ، بل وللظلم أحياناً فيها نصيبٌ يكون حاسماً في كثير من الحالات. كذلك قد تتطرق إلى كرة القدم، كما هو الشأن في جميع الرياضات الجماعية، بعض الظواهر الإنسانية التي يخالفها شيء من الغموض: مثل الكراهية والعُدوانية، والتضامن والثقة والعمل الجماعي، وصفات القيادة التي يتميز بها هذا أو ذاك، ناهيك عن دور الجمهور والتحكيم... فضلاً عن ذلك، فإن اللعب في هذه الرياضة يتمُّ بالقدمين، وهي أطراف الجسم التي من طبيعتها أن تكون أقلَّ مهارةً و أقلَّ دقَّةً! ذات يوم، سأل أحد الصِّحَافِيِّين جون-بيير بابان (Jean-Pierre Papin)، وهو أحد اللاعبين البارعين في قلب الهجوم، عن أهمِّ صِفَةٍ ينبغي أن يتميَّز بها الهدافُ، فأجابه بابان (Papin): " الحظُّ!". ولئن كان ذلك القول يُفيد شيئاً عن كرة القدم، فلا أحد في نظري، يستطيع أن يقول الشيء نفسه عن عداء المسافات القصيرة، أو عن لاعب كرة المضرب. وفي كل الأحوال، ليس حتماً في كرة القدم، أن يفوز الفريق الأفضل. فهنا يُوجد، من وجهة نظر رياضية خالصة، ما يُشبه كدراً جوهرياً. فإن ما يجعل كرة القدم أقلَّ صفاءً من كرة المضرب أو سباق العدو، هو بالتحديد ما يجعلها أبلَّغ تأثيراً في المجتمع. ولأنها رياضة قاصرة عن الكمال، فإنها أكثرُ تشويقاً! فمن كان الأفضل في كرة المضرب أو ألعاب القوى، هو من يفوز، إلا في حالات نادرة: وهذا من الناحية الرياضية جالبٌ للرِّضى، ولكن قد يتلوه من الناحية الإنسانية، شيء من خيبة الأمل أو شيء من الضجر، ولا سيما إذا ما استمر هذا الأفضل أفضل طيلة سنوات... وبخلاف ذلك، ليس حتماً أن يكون الفائز في مباراة لكرة القدم، هو الفريق الأفضل: لأنَّ الحظُّ أو التوفيق أو الطوارئ التي قد تحدث أثناء اللعب، أو التحكيم، قد تتدخل لفائدة الفريق الأضعف.

وهذا من الناحية الرياضية مُخَيَّبٌ لِلْأَمَلِ، ولكنه مُرَضٍ أو مُشَجِّعٌ من الناحية الإنسانية. فذلك يفتح الباب على مصراعيه أمام اللَّائِقِينَ والشَّغْفِ وَالْأَمَلِ وَالْخَوْفِ وَالشُّعُورِ بِالظُّلْمِ، بل أمام الغضب أيضاً، وأمام كلِّ شيءٍ من شأنه أن يُضَيِّفَ إِلَى الْمَشْهَدِ مَا يَزِيدُهُ تَشْوِيقاً! وذلك أشبه بالحياة التي لا هي عادلةٌ، ولا هي من ناحية الأخلاق مُرْضِيَةٌ. كَرَّةُ الْقَدَمِ رياضةٌ قاصِرةٌ عن الكمال مثل الحياة، وهذا يفسر جانباً من انتشارها الواسع.

لقد أُلْقِيَتْ هُنَا خُطْبَةٌ جَمِيلَةٌ فِي مَدْحِ الرِّيَاضَةِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَظْهَرَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ.

إنَّما أَمْدَحُ الْحَيَاةَ الَّتِي تُعَدُّ الرِّيَاضَةُ جُزْءاً مِنْهَا! فَإِنَّ تَكُونَ كَرَّةَ الْقَدَمِ أَكْثَرَ شُهْرَةً مِنْ سَبَاقِ الْعَدُوِّ، رُبَمَا يَكُونُ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُثَبِّتَ أَنَّ النَّاسَ يَحِبُّونَ الْحَيَاةَ أَكْثَرَ مِنَ الرِّيَاضَةِ. وَهَذَا يُعَدُّ بِالرَّغْمِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، بَشْرَى مِنَ الْبَشَائِرِ السَّعِيدَةِ!

## مِنَ التَّضَامُنِ إِلَى السِّيَاسَةِ

تختلف كرة القدم عن كرة المضرب، بِكُونِهَا رِيَاضَةٌ جَمَاعِيَّةٌ. ولأنها كذلك، فهي تستلزم وجودَ أنواعٍ شتى من التضامن. إذن فبإمكان مباراةٍ في كرة القدم، أن تُسَعِفَ في تلقين الشباب درساً قِيَمًا عن فضائل التعاون...

إنّ ذلك بلا شك، له دورٌ في وجود هذا النوع من "المكافأة الشعبية" التي تحظى بها الرياضات الجماعية. ففي الرياضات الفردية - مثل كرة المضرب أو الملاكمة أو ألعاب القوى، إلخ... - توجد قِيَمٌ نَبِيَّةٌ والمنافسة والمواجهة، ولكن قلّما توجد قِيَمٌ التضامن، إذ كُلُّ يَبْقَى مُعْظَمَ الأحيَانِ في حَنَدِقِهِ وحيداً. وبخلاف ذلك، تُنْهِي الرِيَاضَاتُ الجَمَاعِيَّةُ - مثل كرة القدم، كرة اليد، كرة السلة، الكرة المستديرة، إلخ... - حَقّاً قِيَمَ التضامن، فيكون من شأن ذلك أن يُعَيِّنَ شِبَابَنَا على الاقتناع بأنّ كثيراً من الأشياء لا يمكن تحقيقها إلا بالتعاون مع الآخرين. فذلك درسٌ جيّد. إنّما لا ينبغي أن نجعل من هذا التضامن قيمةً أخلاقيةً. فقد أفرَدْتُ في كتابي "رسالة صغيرة عن الفضائل الكبرى" (*petit traité des grandes vertus*) ثَمَانِيَةَ عَشَرَ فِصْلاً لثَمَانِي عَشْرَةَ فِصْلَةً مِمَّا أراه أَهَمَّ الفِصَالِ. لكن دون أن أُفْرِدَ أي فِصْلٍ للتضامن، لا لأنّه من غير أهمية، بل لأنّه لا يُعَدُّ قيمةً أخلاقيةً! فإذا كان جميع البشر متساوين في الحقوق والكرامة (فليُحْصِمْكَ مِثْلُ ما لَشْرَكَائِكَ في الفريق من الحقوق والكرامة)، عَدِمَ كُلُّ



ما يؤدي إلى التمييز بين خصومك وشركائك في الفريق، صِلْتَهُ بِالْأَخْلَاقِ،  
 وَصَارَ مَوْصُولًا بِشَيْءٍ آخَرَ غَيْرِ الْأَخْلَاقِ. فما هو هذا الشيء؟ إِنَّهُ تَقَاطُعُ  
 الْمَصَالِحِ، أَيُّ التَّضَامُنِ! فَأَنْتُمْ تَجْتَمِعُونَ، أَنْتَ وَشِرْكَائُكَ فِي الْفَرِيقِ، عَلَى  
 مَصْلَحَةٍ وَاحِدَةٍ: الْفَوْزِ الَّذِي لَا تَسْتَطِيعُونَ إِحْرَازَهُ إِلَّا إِذَا تَعَاوَنْتُمْ  
 بِأَجْمَعِكُمْ عَلَيْهِ. أَمَّا خُصُومُكُمْ فَلَهُمْ مَصَالِحٌ تَتَعَارَضُ مَعَ مَا عِنْدَكُمْ: فَإِذَا  
 فُزْتُمْ خَسِرُوا، وَإِذَا فَازُوا كُنْتُمْ أَنْتُمْ الْخَاسِرِينَ. هُنَا أَيْضًا، أَرَى أَنَّ يَأْمَكَانَ  
 الرِّيَاضَةَ أَنْ تَكْتَسِبَ مَرْيَّةً بِيَدَاغُوجِيَّةٍ، إِذَا لَمْ يُدْرَجِ التَّضَامُنُ بَيْنَ  
 الْفِضَائِلِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، وَتَمَّ إِظْهَارُ أَنَّ التَّضَامُنَ لَيْسَ سِوَى تَقَاطُعِ الْمَصَالِحِ،  
 الَّذِي هُوَ بِالطَّبِيعِ أَعْلَقٌ بِالْأُنَانِيَّةِ لَا بِالكَرَمِ. إِلَّا أَنَّهُ لَا يَقِلُّ شَرْعِيَّةً (فَمِنْ حَقِّ  
 كُلِّ فَرْدٍ أَنْ يَدَافِعَ عَنِ مَصَالِحِهِ)؛ بَلْ هُوَ إِلَى ذَلِكَ أَكْثَرُ نَجَاعَةً (الدَّفَاعُ عَنِ  
 الْمَصَالِحِ جَمَاعَةً أَنْجَعُ مِنَ الدَّفَاعِ عَنْهَا فَرْدًا!). تَفْضِي الْحِكْمَةُ الَّتِي يُوحِي  
 بِهَا مَعْنَى التَّضَامُنِ، أَنْ نَكُونَ أَنْانِيَّيْنِ جَمَاعَةً، وَأَنْ نُرْضِيَ أَنْانِيَّتَنَا بِذَكَاءِ،  
 أَيُّ أَنْ نَكُونَ أَنْانِيَّيْنِ - حَسَبَ طَبِيعَةِ الرِّيَاضَةِ الَّتِي نَمَارِسُهَا - فِي فَرِيقٍ مِنْ  
 خَمْسَةِ أَفْرَادٍ أَوْ سَبْعَةِ أَوْ أَحَدِ عَشَرَ أَوْ خَمْسَةِ عَشَرَ، عِوَضًا مِنْ أَنْ نَكُونَ  
 أَنْانِيَّيْنِ فَرَادَى، وَأَنْ نُشَبِعَ أَنْانِيَّتَنَا بِغِبَاءِ، أَوْ نُشَبِعَهَا الْوَاحِدَ ضِدَّ الْآخَرَ  
 (مِثْلَ لَاعِبِ كُرَةِ الْقَدَمِ الَّذِي يَسْتَأْثِرُ بِالْكَرَةِ دُونَ شِرْكَائِهِ فِي الْفَرِيقِ)! أَرَى  
 أَنَّ هَذَا قَدْ يُعِينُ شَبَابَنَا عَلَى التَّقَدُّمِ، وَعَلَى تَمَكِينِهِمْ مِنْ فَهْمِ الْفَرْقِ الْكَائِنِ  
 بَيْنَ الْكَرَمِ الَّذِي لَا يُقْصَدُ مِنْ وَرَائِهِ بَلُوغُ مَنْفَعَةٍ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَبَيْنَ التَّضَامُنِ  
 الَّذِي يُعَدُّ نَوْعًا مِنْ تَقَاطُعِ الْمَصَالِحِ، مِثْلَمَا يُعِينُهُمْ أَيْضًا عَلَى فَهْمِ الْفَرْقِ بَيْنَ  
 التَّضَامُنِ الَّذِي يُوجِدُهُمْ هُمْ وَشِرْكَائُهُمْ فِي الْفَرِيقِ، وَبَيْنَ الْإِحْتِرَامِ الْوَاجِبِ  
 عَلَيْهِمْ أَيْضًا تُجَاهَ كُلِّ اللَّاعِبِينَ، وَهُمْ أَنْفُسُهُمْ فِي عِدَادِهِمْ، مِنْ دُونِ أَنْ  
 يَكُونَ إِحْتِرَامُهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا هُوَ لِغَيْرِهِمْ، أَوْ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْإِحْتِرَامُ

لشركائهم في الفريق أكثر ممّا يكون لخصومهم. ولكنّ الملاعب في هذه الأيام، قد صارت أبعد ما يكون عن ذلك!

فلما كان أبنائي ما يزالون أطفالا، كان يتفق لي أن أرافقهم إلى ملعب كرة القدم... في إحدى المرات، كنتا نقضي العطلة بالقرب من مدينة مارسيليا، فاصطحبناهم إلى ملعب فيلودروم (Vélodrome)، لمشاهدة مباراة لفريق أولمبيك مارسيليا أمام فريق آخر لا أذكره. فاعتزاني الذهول ممّا رأيت! فقد كان أنصار الفريق يُعَيِّرون عن تضامنهم مع فريقهم بطريقة لا تشوبها شائبة. وخلافاً لذلك، لم يكن لهم أيُّ احترامٍ للفريق المنافس! فكان كلما لمس الكرة لآعب من الفريق الخصم، ارتفعت حناجر عشرات الآلاف من المتفرجين بالصّفير والصّياح والشّتائم (مع ميلٍ إلى تخيُّر الشتائم المُعادية للمثليّة)، لا لخطئ ارتكبه ذلك اللاعب، ولكنّ خطأه عندهم أن يلعب مع الفريق المنافس لأولمبيك مارسيليا، وأن يلمس الكرة... ذلك ما يعارض الروح الرياضية. ومهما يكن من أمرٍ، فقد كان يوجد على مُدرجات الملعب، من النِّفاق والعُدوانيّة والبذاءة والغباء ما يُصيب المرء بالهلع! لئن أقترح، على نحو ما فعّل ألبير جاكّر (Albert Jaquard) ذات يوم، أن يلعب كل لاعب بكرة خاصّة به، أو بدلاً من أن يلعب الفريقان الواحد ضدّ الآخر، يلعبان لعباً جماعياً لا منافسة فيه. لأنّ ذلك ليس له أي علاقة بمباراة في كرة القدم! فلا ينبغي بدعوى المساواة والاحترام، الامتناع عن التنافس، ومن ثمّ عن التضامن. فعلى أن نُمسك هنا أيضاً بالسلسلة من طرفيها. في الطرف الأوّل تضامنٌ مع الشركاء في الفريق، وفي الطرف الثاني منافسةٌ ضد الخصوم. فكلاهما شرعيّان، وكلاهما ضروريّان، ولكن شريطة ألا يُفضّيا - ولا سيما عند الأنصار - إلى كراهية واحتقار الفريق المنافس.

يُوجَدُ فِي الرِّيَاضَةِ القَائِمَةِ عَلَى المُنَافَسَةِ شَيْءٌ مَا، يَبْدُو أَنَّ لَهُ صِلَةً "بِنزعة تمجيد الألم"... فلقد تحدّثت عن البطل الذي يتألم، والفائز الذي يُخاطر بحياته، كما لو كان ذلك نوعاً من الافتداء بالألم. إنما هذه الفكرة من المسائل القديمة التي نجدها في العقيدة المسيحية؛ أي فكرة الخلاص عن طريق الألم...

إنّ الحديث عن الافتداء بالألم يَحْمِلُ بالفعلِ دلالاتٍ إيحائيةً مسيحيةً. ولا شكّ أنّ ذلك ليس أحسنَ ما في المسيحية. أمّا إن ساعدنا أطفالنا على فهم أنّ لا شيء يتحقق من غير جهد، وأنّ لا جهد يُبدل من غير ألم، فذلك درسٌ مفيدٌ. وفي نيّتي أن أقول إنّما ينبغي الثبات على "مَحَجَّةِ الطَّرِيقِ" على غرار ما كان يقول بوذا ومونتيني (Montaigne)، أو بتعبير أرسطوطاليس، على "شَفِيرِ النِّزْوَةِ" بين هاويتين - هاوية نزعة تمجيد الألم التي قد تزعم أنّ "الألم هو الأجدى نفعاً"، وهاوية الكسل التي قد تهمس "لن نتألم أبداً، ولن نبذل أيّ جهد أبداً، فلا بُدَّ أن يتحقق كل شيء من تلقاء ذاته!". إلا أنّ الكسل في الوقت الحاضر، يبدو لي أكثر خطراً من نزعة تمجيد الألم! وفي كل الأحوال، فبين هاتين الهاويتين، بين هاتين التقيصتين - نزعة تمجيد الألم من جهة و الكسل من جهة ثانية - يُوجَدُ المتوسِّطُ الذّهبيّ الذي تحدث عنه أرسطوطاليس، أي الفخامة أو الفضيلة، أو ما يمكن أن نسميه الإصرار أو الصلابة أو المثابرة، أو أن نسميه الشجاعة بكل بساطة: فلئن كُنَّا نُدرك أنّ اللذة خيرٌ من الألم، وهو أمرٌ لا شك فيه، فلا بُدَّ أن ندرك أيضاً أنّ كثيراً من اللذات لا تتحقق دون بذل الجهود، وأنّ كل الجهود، باستثناء عددٍ قليلٍ جداً منها، لا تُبدل دون أن يعترى باذلتها شيءٌ من الألم وإنّ يكن ذلك في مرّات محدودة. ومتى

استطاعت الرياضة أن تُعَيِّنَ فتاةً أو فتىً على فهم هذا الأمر، كان ذلك أجدى لهما، بشرط ألاَّ يُنجرفا مع تيار التَّمْجيدِ لِلألم من أجل الألم. يتعلق الأمرُ إذن بالأبطال الذين بدأت تتقدّم بهم السنّ، وبأجسادهم التي ائْهَارت وسارَع إليها الوَهْنُ...

هذا جانبٌ من الرياضة، لا أحدٌ يتحدثُ عنه بالقدر الكافي. فليس كلُّ الرياضات تنفَعُ الصّحةَ، ولا سيما الرياضة ذات الأداء العالي، التي لم يكن لها تقريبا أيُّ أثرٍ صِحِّيٍّ.

وإذا ما كانت ممارسةٌ قليلةً من الرياضة، أنفَعَ من البقاء كلَّ الوقتِ، على حالٍ من التراخي على المكتب أو أمام شاشة التلفاز، فإنَّ الإكثارَ من ممارسة الرياضة أَضَرُّ. وذلك يصدُقُ بشكلٍ خاصّ، على بعض الرياضات مثل كرة المضرب، التي تقتضي القيامَ بحركات بدنيّة غير متماثلة، أو مثل رياضة التزلج على المنحدرات الجبلية المعروفة بخطورتها المتأصلة، أو مثل الملاكمة أو الكرة المستطيلة لما يلازمهما من عنفٍ. ولئن كانت القدرة على بذل الجهد، وعلى تحمُّلِ قدرٍ من الألم، من الصِّفات المحمودة، فلا ينبغي أن يَغْرَبَ عن الذهن أن الصّحةَ أنفَسُ قيمةً من الرياضة.

بماذا يُوجي إليك الشُّعارُ الأولميّ "أسرع، أعلى، أقوى" (Citius, altius, fortius)؟

لا يستحقُّ مَنِّي هذا الشُّعارُ سوى ابتسامةٍ ساخرةٍ. لأنه يُعيدُ الألعاب الأولمبية إلى تفاهتها. فإنَّك لن تتساءل، حين يتعلق الأمر بالأصدقاء، عن أعلى مدىِّ هم قادرون على القفز إليه! أمثرتين أم مئرتين وعشرين سنمترا؟ فَمَنْ يَأْبَهُ لذلك؟ ولن تتساءل كذلك عن مدى سرعتهم

في العدو. فهل لذلك من أهمية؟ إنَّما نَنجِرُ بهذا الشعر نحو ما أسميه التمجيد الإعلامي للرياضة، ذلك الذي كان مِنْ نَتيجَتِهِ أن صار يُؤلَّى لَعْلُو قَفْرَةٍ، أو لِسُرْعَةِ سَبَاقٍ أو لِقُوَّةِ لَكَمَةٍ، من الاهتمام ما يتجاوز الحدَّ. كلُّ هذا يبدو لي مثيراً للسخرية. ولا سيما مع تقدُّمنا في السن! فمنذ بلوغ الثلاثين أو الخمس والثلاثين سنةً، يغيِبُ الشعارُ "أسرع، أعلى، أقوى"، ليَحُلَّ محلُّه شعارٌ آخرُ يدعو إلى "سرعةٍ أقل، علوٍ أقل، قوَّةٍ أقل". ومهما يكن، فالحياة حَسَبَ علمي، لا تنتهي في سِنِّ الثلاثين. ومتى تَواصَلَ تمجيدنا للرياضة، أدَّى بنا ذلك إلى أن نَأْسَرَ شُبَّاننا في نزعة تقديس للشباب، بالغة الضَّرر عليهم، لأننا بذلك نجعلهم يعتقدون أن الحياة على الجُمْلَةِ تصير خراباً بعد السنة الخامسة والثلاثين؛ إذ لن يقدروا عندئذ أن يكونوا لا أسرع ولا أعلى ولا أقوى. إذن فالشعار الأولي يُعَبِّرُ بطريقته أن: " الحياةُ تنتهي في السنة الخامسة والثلاثين". وهذا مما يُخالفُ الحقيقةَ كُلِّيَّةً، كما يخالف تماماً ما ينبغي أن ننصح به أبناءنا! وبعبارة أوجز، يجدرُ بالشعارات الحقيقية - التي ليس لها أيُّ صلة بالرياضة - أن تكون على غرار ما يلي: "مزيداً من الحرية، مزيداً من المساواة، مزيداً من التضامن" (وهذا من شعارات السياسة، فيحِقُّ لك إن شئت، أن تستبدل لَفْظَةَ "التضامن" بلفظة "الإخاء")، أو على غرار ما يلي: "مزيداً من الحبِّ، مزيداً من السَّخاء، مزيداً من العَدْل" (وهذا من شعارات الأخلاق)... وعلى هذا النحو، نستطيع أن نتقدم في الحياة بطولها وعَرْضُها! من الأَكيد أننا قد نتقَهَّرُ أيضاً (فليست الشيخوخة تقدُّماً في الحالات كافة، بل ما أبعدَ التقدُّمَ عنها!)، ولكنَّ من الواضح أن الحياة في كل الأحوال، لا تنتهي عند السنة الخامسة والثلاثين!

إجمالاً، ولتُعيد القولَ مرةً أخيرةً: إنّ الحياةَ أهمُّ من الرياضة، والحبُّ أهمُّ من المنافسة، والعدلُ أهمُّ من الفوز. غير أنني مُصرٌّ أنّ ذلك ليس حجةً لإدانة المنافسة أو لرفض الفوز، في الرياضة مثلاً، ولكنّ ذلك حجةٌ قويّةٌ لكي نُؤلّيَ من الأهميّة للأخلاق والسياسة قدرًا يزيد عمّا نوليه للرياضة. وإنّ العدلُ أهمُّ من الفوز: ذلك ما تُدكّرنا به الأخلاق. ينبغي النضالُ إذن من أجل أن يفوز العدلُ: فمن أجل ذلك تُخاضُ السياسةُ. وإنّ مجتمعنا الذي تُمجّدُ فيه الرياضة، والذي يتزايد فيه الإزراء والهزءُ بالسياسة، لمُجتمعٍ سقيمٍ.

## الفهرس

5	توضيح.....
7	مقدمة.....
20	الرياضة والحياة.....
27	الهدف والغاية (سكوبوس و تيلوس skopos et telos).....
39	أخلاق أرسطوقراطية للجميع.....
53	قيَمُ الرياضة.....
60	كرة القدم هي أكثر الرياضات شعبيةً لأنها أقل كمالاً.....
64	من التضامن إلى السياسة.....